*** اللواء الركن محمود شيت خطّاب أكبر عقلية استراتيجية عسكرية في العرب.. الناصح لأمته قبل نكبة ٥ يونيو ١٩٦٧.. ولكنه كالنبي في الصحراء لا يجد من يستفيد منه:**

المفكر الإسلامي المعروف ولد في الموصل عام ١٩١٩م. وشاء اللَّه له أن ينشأ في حضانة جدته لأبيه وهي من أسرة معروفه بصحة نسبتها إلى البيت الحسيني:

«يقول المترجم عن جدته: كانت تصحبني إلى المسجد القريب لصلاة المغرب، فإذا قضيت الصلاة أصغيت معها من مقصورة النساء إلى مواعظ الملك داود، ذي الأسلوب المؤثر، حتى تنهض لصلاة العشاء.. ومن ثم تنصرف لتناول الطعام، وربما طلبت عشاءها فلا تجد، فلا تزيد على أن تبتسم وهي تقول: لا بأس.. حصتي في الجنة إن شاء اللَّه. فإذا أوينا إلى النوم أخذت بذكر اللَّه والاستغفار، ثم لا تدعني حتى تتحقق من نومي، فتتسلل لصلاة القيام. ولطالما استيقظت على نشيجها أثناء ذلك، فإذا ما شعرت بي عادت لتحنو عليّ. واستمر هذا دأبها حتى توفاها اللَّه وأنا في السادسة عشرة، فكان لوفاتها وقع لا يمحى»[1].

*** في سلاح الفرسان:**

ويتخرج المترجم برتبة ملازم ثان لينضم إلى سلاح الفرسان.

ويتخرج عن واقع الحياة في الجيش العراقي آنئذ. فيرينا العجب العجاب من آثار التوجيه الاستعماري، إذ كان كل شيء هناك يسير بالضابط في طريق التميع والانحلال، فلا يجد عاصمًا إلا أن يكون مزودًا بالحصانة

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٣٢٨).

القادرة على الثبات في وجه الأعاصير.

سأله آمر السرية الذي عين في كتيبته: أتشرب؟.. أتلعب القمار؟.. أتحب النساء؟.. ولما سمع نفيه الصارم لكل ذلك قال متبرمًا: إن ضمك إليّ نكبة عليّ[١].

*** أحداث شارك فيها:**

وفي إجابته على الاستطلاع الثامن لم يبعد بنا عن ذلك الجو، فهو يحدثنا عن طائفة من الأحداث التي شارك فيها وشاركت هي في بنائه الذاتي.

فأول هذه الأحداث ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م الذي انتهز فرصة انشغال العدو بالحرب العالمية الثانية فحشد القوات لتطهير العراق من أوزار الإنجليز. وسرعان ما هزت هذه الحركة الضمائر، وأيقظت ما غفا من العزائم، فجددت الآمال بالخلاص الذي طالما بذلت الجهود وسقطت الضحايا لتحقيقه، فحالت دونه الحوائل.

ويخوض المترجم معظم المعارك التي تلاقى فيها الجيش العراقي بقوات المحتل. وكان أثناءئذ ضابط ركن في لواء الخيالة المرابط في (أبو غرير) على بعد ٥٠ كلم من الفلوجة (الأنبار) التي شبت في ساحاتها أهول المعارك. ومع القطعات الزاحفة إلى هناك، مضى للقيام بواجبه في لقاء العدو، ولكن طائرات الباغين كانت تسيطر على فضاء الملحمة، فكان نصيب اللواء منها قنبلة توزعت شظاياها في كل موضع من جسمه، على صورة أيأست الأطباء من إمكان بقائه على قيد الحياة، إلا أن الأجل غلب العلم، فكتب اللّه له الشفاء لكي يتمم مهمته المقدورة في خدمة دينه وأمته.

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٣١).

ويقع ثاني هذه الأحداث أيام العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، وكان اللواء آمر كتيبة في الموصل، وقد ملأت التظاهرات الشعبية أنحاء العراق، احتجاجًا على المعتدين وأنصارهم. وزحفت الجماهير الغاضبة على مؤسسات تلك الدول تحطم كل ما تصل إليه أيديها. وبلغت الحماسة أوجها في الموصل، وسقط العديد من القتلى بالتصادم بين الشرطة والمتظاهرين. وهناك جاءه الأمر من العاصمة بنزول الجيش للسيطرة على الموقف، ثم تتالت الأوامر بوجوب الضرب مهما تكن النتائج بعد أن بلغت التظاهرات يومها الحادي عشر.

❑ يقول اللواء: كان من غير العسير عليّ تفريق الجموع دون ما حاجة إلى إطلاق أي رصاصة، إلا أني لم أكن مقتنعًا بهذا العمل، بل كنت موقنًا أن هذا التظاهر أقل ما يجب على العراق لنصرة الشقيقة مصر. ولهذا تجاهلت أحد عشر أمرًا بالرمي، وأصررت على هذا التجاهل، فكانت عقوبتي هي نقلي من بلدي إلى جنوب القطر.

وطبيعي أن يكون له نصيبه من أحداث العهد الأحمر، الذي سلط عبدالكريم قاسم وفاضل عباس المهداوي، على مقدرات العراق فيما بعد.

كان المترجم، بحكم كونه رئيس هيئة أركان حرب، مسئولاً عن أمن الجنوب كله ما بين بغداد والبصرة، فكان ذلك بمثابة حماية أتاحها اللّه لذلك الجانب من العراق، فلم يجد القتلة الحمر منفذًا إليه، على الرغم من كل المحاولات التي بذلوها بعد أن فرضوا على سائر الأنحاء جوًا من الرعب لم يعرف له التاريخ نظيرًا، اللّهم إلا أيام مزدك في فارس، والقرامطة في العراق والحجاز، والثورة البلشفية في روسية، ثم الثورة الثقافية في صين ماوتسي تونغ.

❑ يقول الصديق الفاضل: لقد وُضعت أجهزة الدولة كلها تحت تصرف

الشيوعيين، فلم يحل بينهم وبين ما يشتهون، فهم يقتحمون الدور، ويجرّون الرجال إلى القتل خنقًا أو سحلاً في الشوارع العامة، ويستخدمون لذلك سيارات الجيش وما شاءوا من أسلحته وأدواته، ولما حاولوا أن يفعلوا ذلك في منطقة عملي واجهتهم بالرفض الصارم، وحجزتهم عن كل عدوان.

ويقول المترجم بهذه المناسبة: لم يكن عبدالكريم قاسم شيوعيًا، ولكن كان مضطرًا للاستعانة بهم، وبخاصة في تلك الأثناء التي اندلعت فيها ثورة الشواف بالموصل، فأطلق أيديهم يعملون ما يشاءون دون حسيب ولا رقيب.. ولم يكن بوسعهم الصبر على موقفي منهم فاتصلوا به يستعدونه عليّ، فبعث إلي المنطقة بضابط يصلح لتحقيق رغباتهم، وما لبثوا أن تجمعوا حوله ليخطب فيهم داعيًا إياهم إلى سحل كل ضابط ومدني يقف في طريقهم أو لا يؤيد ثورتهم، فكان عليّ أن أتدارك ما أمكن من الخطر، فدخلت على هذا الضابط أحذره مغبة تصرفه.. فلم يكن منه إلا أن اتصل بعبدالكريم قاسم طالبًا إليه التدخل لإقصائي عن طريقهم. وهكذا تم لهم ما يشاءون، وكان ذلك في الهزيع الأخير من إحدى ليالي رمضان، حيث وافتني ثلة من جنودهم فاعتقلتني، ثم حملتني في حراسة مشددة إلى السجن المخصص لأعداء الثورة في بغداد.. واستمر وجودي هناك مدى ثمانية عشر شهرًا مشحونة بألوان من التعذيب الذي يُعجز الوصف[1].

* العمل الأشق التدريس في الكليات العسكرية وكليات الأركان:

وعن عمله في التدريس يذكر من مجالاته فيها، الكليات العسكرية، وكليات الأركان، والجامعات الأخرى في العراق وغيره.. ثم معهد الدراسات العربية العليا التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة.

(١) المصدر السابق (١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٨).

ويقول عن التدريس: إنه في تقديره أشق حتى من العمل العسكري لمن يستشعر حقه ويريد أن يؤديه على الوجه الأكمل، ويمثل لذلك بأن نصابه الأسبوعي في المؤسسات التي درس فيها لم يتجاوز الساعتين، ومع ذلك كان تحضيرًا لموضوع يستهلك من وقته أكثر من ثلاثين ساعة[١].

*** جهاده في فلسطين:**

للّه دره وهو يتساءل مستنكرًا:

«فأين من يستقطب الضباط أصحاب السجية العسكرية النادرة، ويعطي لهم الصلاحيات الكاملة، للعمل في مجالهم العسكري، حتى تعرف إسرائيل ومن وراء إسرائيل من دول الاستعمار القديم والحديث، أي أمّة عريقة هم العرب، وأيّ رجال أبطال هم بنوها!»[٢].

إنه صاحب بصيرة، يفكّر بالماضي، ويحلّل الحاضر، لتكون نظرته المستقبلية صائبة.. وهذا ما يأباه الطغاة المسكونون بأنانيّاتهم، ومصالحهم الذاتية، مهما كانت تافهة، وضارّة ومضرّة بالوطن والمواطن. تقدّم رحمه اللّه بطلب إلى المراجع العسكرية عام ١٩٤٨م، وكان برتبة نقيب ركن، ليسمحوا له بالالتحاق بالقطعة التي سوف تتوجه إلى فلسطين لقتال اليهود. وقد شارك في عدة معارك، وضرب أروع الأمثلة بشجاعته، وحنكته، وحسن تصرفه قبل القتال وأثناءه وبعده، وبقي في مدينة (جنين) أكثر من سنة، ثم جاءت الأوامر بعودة الجيش العراقي إلى العراق، فعاد معه. وما يزال أهل جنين يذكرون الضابط العراقي البطل محمود شيت خطاب بالحبّ والإكبار[٣].

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٣٩).

(٢) عقبة بن نافع الفهري لمحمود شيت خطاب (ص١٢).

(٣) من حديث للواء محمود شيت مع حسني أدهم جرار.

□ قال اللواء خطاب عن نفسه:

«إنني أومن بأن الحرب الإجتماعية تقتضي الجهاد بالمال، والجهاد بالأنفس، والجهاد بالأقلام، لنيل النصر المؤزّر.

وقد حبستُ قلمي على الجهاد في فترة الأيام العصيبة قبيل اندلاع الحرب يوم ٥ حزيران ١٩٦٧م فلما وقعت الحرب بين العرب وإسرائيل، حاولت أن أجاهد بروحي، فلم يكتب اللّه لي الشهادة في ساحات القتال».

□ وقال عن معركة (جنين) التي أبلى فيها بلاء رائعًا في عدة معارك ضارية:

أجنينُ إنكِ قد شهدتِ جهادنا ... وعلمتِ كيف تساقطتْ قتلانا
أجنينُ لا أنسى البطولة حيّةً ... لبنيكِ حتى أرتدي الأكفانا
أجنينُ يا بلد الكرام تجلّدي ... ما مات ثأرٌ ضرّجتْه دمانا
إنَّ الخلودَ لمن يموتُ مجاهداً ... ليسَ الخلودُ لمَنْ يموتُ جَبانَا[1]

*** مواقفه الطيبة:**

١ ـ مواقفه في نصرة دعاة الإسلام:

أ ـ مع سيد قطب:

حدّثني اللواء خطّاب أنه زار القاهرة، بصحبة رئيس الجمهورية العراقية المشير عبدالسلام عارف. وهناك في القاهرة، طلب من المشير عارف أن يتوسّط لدى صديقه عبدالناصر للإفراج عن سيد قطب. وتحدّث عارف مع ناصر بحضور خطّاب، ووافق ناصر على الإفراج عن سيّد. عندها طلب

(١) «اللواء الركن محمود شيت خطاب المجاهد الذي يحمل سيفه في كتبه» لعبداللّه محمود (ص٤٣ ـ ٤٤) دار القلم ـ دمشق.

خطّاب من عبدالناصر أن يسمح له بزيارة سيّد في سجنه، ليبشّره بقرار الرئيس، فسمح بذلك، وجاءت سيارة من القصر حملت خطّابًا إلى سجن سيّد. وفرح سيّد بلقاء خطّاب، وحمّله سلامه إلى المشير عارف، فقال له خطاب:

ـ أبشّرك بالإفراج عنك قريبًا جدًّا.

تساءل سيّد: كيف؟

فقصّ عليه خطّاب قصّة وساطة المشير عبدالسلام الذي يكنّ له حبًّا ومودّة وتقديرًا وإعجابًا بجهاده، وفكره، وقوة إيمانه وصموده في وجه الأعاصير.

فسأل سيّد، وقد علتْ وجهه كآبة: يعني.. كلمتم الرئيس، وانتهى الأمر؟

أجاب خطّاب بسرور: نعمْ والحمد للّه.

قال سيّد في حزن: سامحكم اللّه.. لو أنكم شاورتموني.

قال خطّاب في دهشة: وهل كان سيكون لك رأي آخر؟

قال سيّد: نعمْ.. لو شاورتموني لرفضت الوساطة، ولما خرجت بهذه الصورة.

قال خطّاب في حزن وسهوم: ولكنها كريمة.. إخراج كريم.. الرسول القائد ﷺ قال معلّقًا على إباء يوسف الخروج من السجن حتى يسأل الملك النسوة اللواتي قطّعن أيديهنّ: «**رحم اللّه أخي يوسف لو خُيّرت ـ مكانه ـ لاخترت الخروج على المكث في السجن**».

قال سيّد:

ـ على أيّ حال.. سبق السيف العذل، وشكر اللّه لكم مسعاكم النبيل، ونيّتكم الحسنة في الإفراج عن أخيكم، وأطيب تحياتي لكم وللأخ

عبدالسلام عارف.. الرجل الصالح.

«وخرج سيّد من السجن، وقدّم لي وللمشير عارف كتبه كلّها مجلّدة تجليدًا فاخرًا، وكتب على الظلال إهداء لطيفًا لكلٍّ منا».

ثم اصطحبني اللواء خطّاب إلى مكتبته العامرة، وأراني كتب الشهيد العظيم، وقرأت إهداءه بخط يده على المجلد الأول من الظلال، واللواء خطّاب يدندن بهذين البيتين في تأثّر ثائر:

ذلك المؤمن المجاهد يغشى غمرة الحرب، والرَّدَى يخشاه
تحت ظلِّ السيوف ماضٍ قويٌّ درْعُه: لا إله إلا اللّه

ثم التفت إليّ، وقد أخذ الحزن مأخذه في وجهي وعينيّ، وقال في حزن:

وهوِّن عليك، فإنّ الأمور بكفّ الإله مقاديرها
فليس يؤاتيك مَنْهيُّها ولا قاصرٌ عنك مأمورها

ب ـ مع المودودي:

وتابع اللواء خطاب حديثه، فقال:

في العام نفسه: (١٩٦٤م) زرت باكستان بصحبة الأخ المشير عبدالسلام عارف، وهناك حدثته عن اعتقال الأستاذ أبي الأعلى المودودي، فأبدى امتعاضه وأسفه لتصرف الحكام مع قادة الفكر الإسلامي، وقال:

ـ سوف أكلّم أيوب خان ـ رئيس الجمهورية ـ بشأنه.

قال خطّاب:

ـ وتذكّرتُ عتاب الأستاذ سيد قطب؛ لأننا لم نشاوره قبل التوسّط لدى عبدالناصر للإفراج عنه، فقلت للأخ المشير:

ـ لا تكلّمه ـ أيوب خان ـ قبل أن أزور الأستاذ في سجنه، وأرى رأيه

في ذلك.

وعندما التقينا مع الجنرال أيوب خان، استأذنتُه في زيارة الأستاذ المودودي، فأذن بذلك وقال:

ـ الأستاذ المودودي عالم كبير، وإنسان مفكّر عاقل، ولكنّه يكرهني.. لماذا؟ لا أدري. فأنا هنا الرئيس ـ يا سيادة الرئيس ـ وكلما أصدرت قانونًا، أو اتخذت قرارًا، أو رسمت مرسومًا، بادر الأستاذ المودودي إلى تفنيده، والتنديد به.

ثم التفتَ إليَّ وقال:

ـ زره ـ يا حضرة الأخ خطّاب ـ وافهمْ منه ماذا يريد، حتى نتفاهم ونتعاون.

قلت لأيوب خان:

ـ يريد الإسلام حاكمًا لباكستان، فباكستان ما انفصلت عن الهند إلا من أجل الإسلام، وأن يحكم الإسلام، ويكون الدستور الباكستانيّ إسلاميًّا.

قال أيوب خان:

ـ ونحن معه، ولكنه يتعجل الأمور.. يحرّض على الانقلاب عليّ..

وزرت الأستاذ المودودي في سجنه، ففرح بلقائي، واختلطت مشاعر الفرح والحزن بلقائه.. فرحت بلقاء هذا العالم المجاهد العظيم، وحزنت أن يكون في السجن، وليس في قمة السلطة، يخطّط لباكستان المسلمة وينظّر.

وبعد تبادل التحيات، وسؤاله عن أحوالنا، وسؤالي عن أحواله وأحوال جماعته، وأحوال المسلمين في باكستان، قلت له:

ـ المشير عبدالسلام عارف يحبّك، ويحترمك، ويقرأ كتبك، ويتأثر بها جدًّا، وهو يعدّ نفسه من تلاميذك، ويريد أن يخدمك، ويسعى للإفراج عنك.

فقاطعني المودودي:

ـ هل كلّم أيوب خان بشأني؟

أجبت: ليس بعد.

فتنفّس الصُّعداء وقال بحرارة يكاد شواظها يلفحني:

ـ الحمد للّه.

قلت: على ماذا تحمد اللّه؟

قال: لو توسّط لدى أيوب خان، لرفضت الوساطة، وما خرجت من السجن، فالحمد للّه أنكم لم تكلموا ذلك الطاغية بشأني.

قلت: ولكنّ الأستاذ سيّد قطب قبل وساطة الأخ المشير.

قال: أظنكم أخرجتموه فقبل هذه الوساطة الكريمة.. الأستاذ سيّد رجل حيي.. أمّا أنا، فما كنت لأقبلها، حتى لو أخرجتكم..

ثم ودّعته محمَّلاً بدعواته، وتحياته للأخ عبدالسلام.

٢ ـ موقفه من اللهجة العاميّة:

يتلخص في أن عواقب انتشارها خطيرة، وكلّ الدعوات إليها مريبة، وكلّ الداعين إليها مشبوهون، وكثير منهم ماسونيون يريدون تقسيم الدولة العربية الواحدة إلى دويلات، أو دولة فيها عدة لهجات تقوم مقام اللغات، وفي النهاية، يريدون أن يصبح القرآن الكريم غير مفهوم، ومن يريد فهمه، فليترجمه إلى عاميته، أو أن يتعلم لغة أجنبية، كاللغة العربية، ليفهمه، لأن تلك اللهجات بعيدة عن العربية الفصيحة، أو يفهمونه مترجمًا إلى إحدى اللغات[1].. إنه يحذّر من استخدامها ومن الداعين إليها من المستشرقين والمستغربين.

(١) «مجلة لواء الإسلام» (٢٤/ ٥) لعام ١٩٧٠.

٣ ـ موقفه من شعر التفعيلة:

قَرَنَ اللواء خطاب بين الدعوة إلى استخدام العامية بالدعوة إلى استخدام الشعر الحر، وقال:

«فالشعر الموزون المقفَّى هو من دعائم اللغة العربية، والدعوة إلى الشعر الحرّ أصلها صهيوني من إسرائيل»[١].

وعندما أطلعته على مقالي الذي نشرته في مجلة (الآداب) البيروتية عام ١٩٦٩م ـ العدد التاسع، وأثبتّ فيه أن الشاعر الإسلامي علي أحمد باكثير ـ رحمه اللّه ـ هو أول من بدأ هذا النمط من الشعر، قبل السياب ونازك وغيرهما من الشعراء، قرأ المقال بإمعان، ثم قال:

«جهد غير مشكور.. ليتك لم تكتب هذا الكلام، وتتعب نفسك، وتبرئ ساحة أعداء العربية الذين يدعون إليه، وتلصق هذه التهمة بالشاعر والأديب الرائع باكثير الذي كتب صدفة أو قدراً مثل ذلك الكلام الذي هو ترجمة لباكثير، وكتبه تحدّيًا، وليس ابتداعًا من عندياته».

٤ ـ موقفه من اللغة العربية:

هي أحسن لغة في العالم، كما أن عقيدتنا أحسن عقيدة[٢].

وقد آلى على نفسه أن يكون الذائد عن حياض اللغة العربية ما عاش، ولهذا تراه في كل مناسبة يدعو إلى استخدامها، والتعمق فيها، ويندّد بأولئك الخونة الجهلة الذين يطلقون عليها أوصاف (لغة الكهوف ـ لغة أهل القبور ـ اللغة التي لا تستطيع أن تجهر بالعلم) ويجرون استفتاءات عما إذا كانت تستطيع النهوض بالعلوم الحديثة في القرن العشرين[٣].

---

(١) «مجلة لواء الإسلام» (٢٤/ ٥) لعام ١٩٧٠م.

(٢) «مجلة لواء الإسلام» (٢٤/ ٥) لعام ١٩٧٠م.

(٣) المرجع السابق.

ويرى أنّ اللغة العربية عالمية، متغلغلة في العالم شرقًا وغربًا، وقد دخلت في كلّ لغة من لغات العالم، كالروسيّة والإنكليزية والفرنسية والألمانية، ناهيك عن لغات الشعوب الإسلامية، كالتركية والفارسية واللغات الهندية.

٥ ـ يرفض رفضًا قاطعًا دعوة أعداء العربية إلى كتابتها بالحروف اللاتينية، تحت أيّ ذريعة[١]، من أجل قطع صلة المسلمين بقرآنهم، وهو سندهم القويّ المتين.

٦ ـ موقفه من الحضارة الغربية:

يرى أن الحضارة الغربية مقسومة إلى قسمين. الأول: علميّ، نقبله ونستورده. والثاني: ذو صلة بالمبادئ، وهذا نرفضه ولا نرضى بشيء منه.. إنه من قبيل الاستعمار الفكري والغزو الثقافي، وهو أخطر أنواع الاستعمار الحديث[٢] وهو القائل:

«إن هذا العصر الذي نجح في تطوير العلوم التطبيقية، والوصول إلى القمر، أخفق في تطوير معاملات البشر، أفرادًا أو أممًا، بعضهم لبعض، لذلك لا يزال البشر بعيدين عن الكمال؛ لأن حضاراتهم اهتمت بظاهر الإنسان وحياته المادية، بينما اهتمّ الإسلام بباطن الإنسان وظاهره، وبحياته الماديّة والرّوحيّة على حدٍّ سواء»[٣].

٧ ـ موقفه من أدب الجنس:

قال في مقدمة مجموعته القصصية: (عدالة السماء):

«صدرت قصص كثيرة في الأعوام الأخيرة، أقبل على قراءتها الشباب

(١) المرجع السابق (٢٣/ ٩ و١٠).
(٢) «مجلة لواء الإسلام» (٢٣/ ٩ و١٠).
(٣) «ومضات من حياة المصطفى» (ص٨).

والشابات؛ لأنها تدور على الجنس، وتشجّع عليه، ممّا أدى إلى إشاعة الفحشاء في كثير من قرائها.. هذه القصص الجنسية الداعرة، قصص المخدع، التي تتبجّح بالخلاعة، وتدعو إلى الميوعة، أضرّت بقرائها أبلغ الضرر؛ لأنها عملت على إفساد أخلاقهم، وجعلتهم يرون في (الجنس) هدفهم الحيويّ في الحياة.. ولست أشكّ في أنّ الذي يتلوّث جنسيًّا لا يقوى على تحمُّل أعباء الحرب. ولا يستطيع النهوض بواجباته في القتال.. وبذلك أفاد مؤلفو قصص المخدع إسرائيل من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون»[١].

وندّد بالأدب الماجن في عدّة مواضع من كتبه، وقال:

«إنّ ترك شبابنا يلجأون إلى الأفكار المستوردة، والتخنّث، والعبث، وتقليد الغرب حتى في (خنافسه) لن يفيد غير أعدائنا المستعمرين والصهاينة؛ لأن الترف والتخنّث على طرفي نقيض من حبّ التضحية والإقدام.

إن أدب المخدع، والصور العارية، والصحف والمجلات الخليعة، وكتب الجنس والرقص، والأفلام العابثة، والحانات، والعلاقات المشبوهة بين الجنسين دون حسيب أو رقيب، كلّها معاول هدم للفرد العربيّ أولاً، وللأسرة ثانيًا، وللأمّة ثالثًا، وهي لا تفيد غير إسرائيل؛ لأنّ من نتائجها: تمييع الشعب وتخنّثه، والشعب المائع المخنّث لا يحارب أبدًا»[٢].

ثمّ وجه نداءه الحارّ إلى المؤلفين «أن يحرصوا على أخلاق أبنائنا وبناتنا، وألاّ يكتبوا ما يحطّم تلك الأخلاق.. وستلعن الأجيال القادمة كلَّ مؤلف اتخذ العلم (تجارة) فقذف إلى أسواق الكتب مؤلفات أضرّت بالخلق الكريم، وألحقت بالفضيلة أبلغ الأضرار»[٣].

---

(١) «عدالة السماء» (ص٧).

(٢) «طريق النصر» (ص١٥٠).

(٣) «عدالة السماء» للواء محمود شيت خطاب (ص١٠٧ ـ ١٠٨).

* موقفه من اليهود:

كانت الصهيونية أو اليهودية أعدى أعدائه، ومحور تفكيره وهمومه، وأمَّ أحزانه وآلامه، وشغله الشاغل الذي لا يشغله عنه شاغل آخر، فلا يكاد كتاب من كتبه يخلو من التنديد بها، والتحريض عليها، والتحذير منها، والتبكيت لعملائها، والمتهاونين في مقاومتها.

كان ينعى على الكتّاب السائرين في ركابها، كذلك الأديب الكبير الذي منحوه جائزة نوبل لعلاقاته المريبة بالصهيونية ويهود، ويتساءل: لمصلحة مَنْ منحوك هذه الجائزة اليهودية يا أديب كنانة الأزهر؟

وألهب ظهور حكام العرب بالمقال الذي كتبه عن (اللغة الوحيدة التي تفهمها إسرائيل)، وذكر فيه أن القوّة وحدها، ولا شيء غير القوة، هي اللغة الوحيدة التي تفهمها إسرائيل[١]. والجهاد وحده هو الطريق الصحيح لتحرير فلسطين، وسحق إسرائيل.

يرى أنّ إسرائيل دويلة عنصرية، وكلّ ما بُني على العنصرية إلى زوال، وكلُّ أمّة أو دولة تُبنى على العنصرية إلى زوال وفناء، كما حدث لألمانيا النازية[٢].

ويرى أن مركّب النقص لدى يهود، الذي تغلغل في عمق أعماق نفوسهم وقلوبهم وعقولهم وأعصابهم، نتيجة للذلّ والحرمان والمهانة التي عانوا منها عبر القرون ـ دفعهم إلى جعل دولتهم عسكرية تؤمن بالقوّة وبالقوة فقط، وربُّوا أطفالهم، وأنشأ عناصرهم البشرية على المظاهر العسكرية، ووجّهوهم توجيهًا حربيًا ذا أهداف احتلالية، ولقّنوهم ما يعمّق فيهم التعصّب

(١) «الأيام الحاسمة قبل معركة المصير» لمحمود شيت خطاب (ص١٢ ـ ١٣).
(٢) «مجلة لواء الإسلام» (٢٥/ ٨).

الضيّق جدًّا كالذي يُطبَّق في النُظُم العسكرية، التي تؤلّه جيوشها. إنهم ينشّئون الأطفال هذه التنشئة العسكرية، مستعينين بجميع الوسائل التي تملكها الدولة، ليطبعوا كلَّ شيء فيها بطابع الغزو والاستعمار[١].

وحول محاولات إسرائيل إقامة هيكل سليمان المزعوم قال:

يوم ٢١ من آب سنة ٧٠م أحرق تيتيوس الرّوماني هيكل سليمان.

وفي ٢١ من آب سنة ١٩٦٩م يحرق اليهود المسجد الأقصى.

هل يمكن أن يكون هذا صدفة؟

أنا أقول ـ وهذا ليس تنبُّؤًا، إنما هو حساب محسوب:

يوم ٢١ من آب سنة ١٩٧٠م سيوضع الحجر الأساس لهيكل سليمان؛ ذلك لأن اليهود يهتمون برقم سبعة، ويعتبرونه رقمًا ربّانيًّا، وكلّ الأعمال الكبيرة يعملونها في السبعة. مثلاً:

سنة ١٨٩٧ كان المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرة.

سنة ١٩٠٧م بدء الهجرة اليهودية بطاقات كبيرة.

سنة ١٩٣٧م وضع الحجر الأساس في جيش الهاجاناه.

سنة ١٩٤٧م كان قرار التقسيم.

سنة ١٩٥٧م كان الإبحار في إيلات.

وسنة ١٩٦٧م كان لهم النصر العظيم في حرب حزيران[٢].

ولأن اليهود وإسرائيل عدو المسلمين الأول واللدود فلقد أولاهم أكبر الدراسات الهامة نصحًا لقومه ومنها كتبه الآتية: «حقيقة إسرائيل» و«طريق النصر في معركة الثأر» و«أهداف إسرائيل التوسعية» و«الأيام الحاسمة قبل

(١) «الأيام الحاسمة» (ص٦٠ ـ ٦١).

(٢) «مجلة لواء الإسلام» (٢٤/ ٥/ ١٩٧٠).

معركة المصير» و«الوجيز في العسكرية الإسرائيلية» و«التصور الصهيوني للتفتيت الطائفي» و«العدو الصهيوني والأسلحة المتطورة».

*** «الأيام الحاسمة قبل معركة المصير» ونصح اللواء محمود شيت خطاب لقادة أمته فلم يستجيبوا له:**

صدر هذا الكتاب في بغداد سنة ١٩٦٧م عن وزارة الثقافة والإرشاد في (١٦٧) صفحة للواء محمود شيت خطاب.

وهو مجموعة من الدراسات العسكرية كتبها ونشرها بين ٣٠/٥ و٥/٦/١٩٦٧م.

❑ هدف من نشرها إلى:

١ ـ خلق وعي عسكري سليم بين أبناء الشعب.

٢ ـ استثارة الهمم لحشد الطاقات المادية والمعنوية للجهاد.

٣ ـ إبراز ما يمكن أن يحدث في الحرب فعلاً بكل صراحة وموضوعية ووضوح ليكون الشعب على بيّنة من أمره، فلا يؤخذ بالأحداث على غرّة، فتنهار معنوياته دون مبرر.

في بحثه (خطة إسرائيل في ٥ حزيران) كان مدركًا لمخططات إسرائيل، وخُطّتُها في الهجوم على تلك الهضاب (السورية) مكشوفة، أيضًا.. وهي خطّتها التي كررتها مئات المرات في الاعتداء على البلاد العربية المجاورة، مع اختلاف بسيط واحد، هو زيادة حجم دروعها ومشاتها المنقولين بالعجلات المدرعة، وزيادة إسنادها الجوّي.

خطتها هذه، هي غارات خاطفة، تباغت بها القوات العربية، بقوات أرضية مدرعة، وقوات جوية، مع اختلاف في حجم تلك القوات بالنسبة للواجب المطلوب، والهدف الذي تريد السيطرة عليه.

«وقد حشدت بالقرب من حدود سورية للهجوم على هضاب تجويل مجرى نهر الأردن ـ قوات تقدّر بأربعة ألوية مدرعة، ولواءين من المشاة المحمولين بالناقلات المدرعة، وهيأت القوة الجوية لإسناد هذا الهجوم الأرضي، لكي تهيّئ الجوّ المناسب لاختراق سريع حاسم».

وإسرائيل «لم تكتم نياتها في الاعتداء على سورية، وفضحت باستهتار عجيب تلك النيات».

لماذا هذا الاستهتار؟ أظنّ الجواب واضحًا..

بل عندما قامت مصر بحشد قواتها في سيناء على حدود إسرائيل، سارعت إسرائيل إلى سحب قواتها من حدودها الشمالية، إلى حدودها الجنوبية مع مصر، وصارت جبهتها الشمالية مع سورية ثانوية، وجبهتها مع مصر هي الحيوية.

ومع ذلك.. سقطت الهضاب المنيعة في الجولان الاستراتيجي المنيع. فتأمل.

وفي بحث (أهمية حرمان إسرائيل من الملاحة في خليج العقبة) قدّم وصفًا مجملاً لخليج العقبة، وأهميته الاستراتيجية من النواحي العسكرية والاقتصادية والسياسية.

وفي (حرب أم لا حرب) الذي كتبه في ١٩٦٧/٥/٣٠م أي قبل الحرب بخمسة أيام فقط قال:

«وأبادر إلى القول بأن الحرب بين العرب وإسرائيل آتية لا ريب فيها، ولكن: كيف؟ ومتى؟ وأين؟».

ثم أجاب اللواء خطاب على هذه الأسئلة.

تحدّث عن القوات الإسرائيلية: النظامية، والعصابات الإرهابية الرديفة للجيش النظامي، والقوات المدنيّة المهيأة للدفاع المحلي عن القرى والبلدات

والمستعمرات.

وبيّن أن القتال على جبهتين ليس بمقدور إسرائيل، بقواتها النظامية الراهنة، ولذلك دعت إلى النفير العام الذي تستطيع به تجنيد ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ألف مقاتل. وهذا العدد يحتاج إلى التسليح، والتنظيم، والتجهيز، والقيادة.

وكل هذا يحتاج إلى الوقت، وهي جادة في كسب الوقت، وتخادع العرب بمظاهر كاذبة.. «هذا ما يجب على العرب أن يضعوه نصب أعينهم، ويستعدّوا لمجابهته بخطط مدروسة دقيقة» فإسرائيل سوف تخوض الحرب لا محالة.

وخلص إلى القول في هذه المقالة التي نشرها في ٣٠/ ٥/ ١٩٦٧م:

«أمّا متى تبدأ الحرب؟ فالنفير الإسرائيلي يكمل خلال أسبوعين، وقد بدأت بتنفيذ خطة نفيرها بتاريخ ٢٣/ ٥/ ١٩٦٧م وينتهي نفيرها يوم ٥/ ٦/ ١٩٦٧م، وفي خلال هذه الفترة يمكن إنجاز خطط الحركات والخطط الإدارية، وخطط التنقل، وخطط تعيين القيادات، وإصدار الأوامر إليها. وعلى ذلك: ستهاجم إسرائيل القوات العربية يوم ٥/ ٦/ ١٩٦٧م»[1].

ترى.. أي مفكر استراتيجي هذا اللواء الركن محمود شيت خطاب؟

وأيّ حساب دقيق، وذهن متوقّد كان يمتلك؟

وفهمه لقيمة الوقت في هذه المرحلة الحاسمة، جعله يكتب بحثه (الوقت مع العرب على إسرائيل)، وخلص فيه إلى: «أن العرب إذا اشتبكوا بالقتال ضدّ إسرائيل، بعد حشد طاقاتهم المادية والمعنوية، فإن الحرب، كلما طال أمدها، يكون الوقت مع العرب على إسرائيل. والذي أريده: أن العرب إذا حاربوا إسرائيل قبل استكمال نفيرها، فسيلحقون بها أضراراً جسيمة».

(١) «الأيام الحاسمة قبل معركة المصير» (ص٨٤).

هذا المعنى الحاسم كان خطاب لا يفتأ يردّده على مسامع العرب، ويؤكّده ليعوا خطورة ما يقول: «والذي أريده: أن العرب يجب أن يبدءوا بالهجوم على إسرائيل، ليحطّموا قواتها أولاً، قبل أن تحطّم إسرائيل القوات العربية، في حال استكمال نفيرها، وإقدامها على مهاجمة العرب، ولكي تكون المبادأة بيد العرب على إسرائيل».

ولكن.. يبدو أنه كان مدركًا أن العرب سوف يفوّتون على أنفسهم فرصة المبادأة، وسوف يقوم اليهود بمهاجمة العرب، وسوف يحققون نصرًا كاسحًا في الأيام الأولى من الحرب، وعندها ما على العرب إلا الاستمرار في القتال، فقال: «الدرس الذي أركز عليه في هذا المقال، والذي أريد أن يتفهمه العرب بعمق وأصالة: أن انتصار إسرائيل في الأيام الأولى من الحرب على العرب، يجب أن يزيد من صمود العرب، ومن استقتالهم، دفاعًا عن كرامتهم، وحقوقهم، وشرفهم».

فإذا كان العرب لا يجرؤون على مهاجمة إسرائيل، وتركوا لها فرصة بدء الحرب، وكسب النصر، فليطيلوا أمد الحرب، ولا يوقفوا القتال، وعندها يتراجع جيش اليهود وينتصر العرب، ولكنْ هيهات.. إنها صيحة في وادٍ سحيق.

وفي بحثه «حرب البترول» بيّن الأهمية الاستراتيجية للبترول بالنسبة للآلة العسكرية، وبالنسبة للغرب، وبالنسبة لإسرائيل.. وبعد دراسة مركّزة، قال:

«يمكن الجزم بأن قطع البترول عن إسرائيل نهائيًّا، وعن الدول الاستعمارية التي تساند إسرائيل، سيؤدي إلى اندحار إسرائيل في الحرب، وذلك في حالة صمود العرب، مهما بذلوا من خسائر وأضرار، وسيؤدي إلى انهيار الاقتصاد الغربي خاصة، ويجعل الدول التي وراء إسرائيل، تفكر ألف

مرة قبل الإقدام على إلحاق الضرر بمصالح العرب».

ودعا العرب والمسلمين إلى قطع بترولهم عن إسرائيل فوراً، وإذا نشبت الحرب، فعلى العرب أن يوقفوا ضخَّ بترولهم نهائيًّا، حتى تضع الحرب أوزارها، لكي لا يتسرب هذا النفط إلى إسرائيل، وإلى من وراء إسرائيل من دول الاستعمار.

وفي كلمته (إرادة القتال) التي ألقاها من تلفزيون بغداد مساء يوم ٥/٦/١٩٦٧م شجّع العرب على القتال والاستبسال والصمود في وجه العدو اليهودي، وبدأ حديثه بذكر عدّة حوادث تاريخية، كغزوة الحديبية التي بايع فيها المسلمون رسولهم وقائدهم ﷺ على الموت، واستذكر بعض بطولات معركة اليرموك، والقادسية، ثم عرّف (إرادة القتال) التي هي: إيمان بهدف سامٍ، وجهاد في سبيل هذا الهدف بالنفس والمال، وثقة بأن هذا الهدف هو أحبّ وأعزّ وأغلى من الآباء والأبناء والإخوان والزوجات والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن.. وتحدّث عن الناحية الروحية، والإيمان، وعقيدة الإسلام.

وطالب القادة العسكريين أن يكونوا قدوة لضباطهم وجنودهم، ولشعوبهم، في المعارك، وما يقال للقادة العسكريين، يقال للقادة السياسيين، وطالبهم:

١ ـ بحشد سائر الطاقات المعنوية والمادية، وزجّها في المعركة.

٢ ـ بالتوقف عن ضخّ البترول فوراً.

٣ ـ بأن يفتح العرب على إسرائيل ثلاث جبهات: مصرية، وسورية، وأردنية.

٤ ـ بأن تحشد سائر الدول العربية قواتها فوراً، وتنقلها إلى ساحات القتال بسرعة.

٥ ـ بإعلان النفير العام في سائر البلاد العربية.

وأنهى كتابه الاستراتيجي هذا بخاتمة لخّص فيها توقّعاته قبل الحرب، وحدوث تلك التوقعات على أرض الواقع، ثم حاول التخفيف من وقع هذه النكسة، النكبة على العرب، ودعاهم إلى الصبر، والإعداد، والصمود، والإفادة من دروس المعركة، والتركيز على المعنويات، على العقيدة، على المبادئ والأخلاق، على أن يعودوا إلى الإسلام من جديد.

فنتيجة حرب حزيران كانت متوقّعة، فقد كان همّ اليهود الإعداد لحرب العرب، وكان همُّ العرب مقاتلة بعضهم بعضًا.. لم يصرف اليهود دقيقة من وقتهم في غير الاستعداد للحرب، وصرف العرب كل أوقاتهم في تخدير أنفسهم، وفي اللهو واللعب وتفرفة الصفوف. كانت إسرائيل تعمل، وكان العرب يقولون. وشتان بين الأعمال والأقوال.

لقد بدا اللواء خطاب ـ في هذا الكتاب كما في غيره مفكرًا استراتيجيًّا، مستقبليًّا ومثقفًا عميق الثقافة، واسع الاطلاع، نهم القراءة والاستماع، يطالع الصحف، ويقرأ المذكرات والكتب، عربيةً وأجنبية، صديقةً ومعادية، ويستمع إلى الإذاعات المعادية، ويحلّل ما يقرأ ويسمع ويركب، ثم يستخلص النتائج بوعي، ويفهم دور العامل الاقتصادي، والسياسيّ، والمعنويّ في الحرب الحديثة، ومدى التغلغل اليهوديّ الاقتصادي في بلاد العرب والمسلمين، كما في أرتيرية عن طريق الحبشة.

لقد بلغت به الدقة في رصد التطورات التي كانت تتمخض بها المنطقة آنذاك، إلى حد أن يؤكد عزم إسرائيل على التحرك لإنزال ضربتها في اليوم نفسه الذي قررته وهو الخامس من حزيران. ونشر ذلك في جريدة «العرب» البغدادية يوم الأول من الشهر نفسه.. ولكن صيحته ذهبت مع الريح؛ لأن الغرور والجهل قد أصما آذان المسئولين أثناءها فلم يسمعوا سوى صوت

الشيطان الذي سبق أن غرر بأسلافهم يوم بدر، حتى إذا نزلت بهم الكارثة ولى هاربًا وهو يقول: «إني أرى ما لا ترون..».

وقد قدر لهذا الألمعي خبرته حق قدرها ذلك المؤلف الإسرائيلي الذي عرض لإنذار اللواء محمود بشأن تلك الحرب، فقال عنه في كتابه «الحرب بين العرب وإسرائيل» إنه أكبر عقلية استراتيجية في العرب، ولكنه كالنبي في الصحراء.. لا يجد من يستفيد منه»[١، ٢].

يقول اللواء محمود شيت خطاب «ذات يوم كنت ألقي محاضرة في القاهرة عن نكبة ١٩٦٧م وأعدد أثناءها بعض مواطن الخطأ العسكري، فاعترضني واحد من الاتحاد الاشتراكي يقول: إنها نكسة.. نكسة فقط.. وقد أصابت النكسة رسول اللَّه نفسه في أحد.

فكان من ردي على هذا الرجل: إنها ليست نكسة.. بل هزيمة، لا.. بل فضيحة لا مثيل لها في تاريخ الحروب. إن ما تسميه نكسة في أُحد لم تكن من أخطاء القيادة، بل من أخطاء الجنود، ومع ذلك فقد قاد رسول اللَّه ﷺ المسلمين لمطاردة المشركين في اليوم التالي حتى حمراء الأسد.. فهل طاردت القيادة الحاضرة إسرائيل منذ ذلك اليوم؟

وأعقب ذلك الرد ضجة بين الحضور سرعان ما أخرست ذلك المتزلف»[٣].

«ولعلّ من المناسب أن نذكر، أن اللواء خطّابًا لم يشاهَد وهو يضحك ولم يبتسم منذ اندحار العرب في حرب حزيران، وكان دائم التقطيب والتجهّم، وإذا أُلقيتَ على مسامعه نكتة، أو طرفة، وراقبتَ وجهه، فسوف

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١).
(٢) «اللواء الركن محمود شيت خطاب» لعبداللَّه محمود (ص١٣٨ ـ ١٤٤).
(٣) «علماء ومفكرون» (١/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

تراه يتمعّر ويكظم غيظه من إلقاء النكتة والابتسام لها، وقد حاول الأستاذ الشيخ محمد الغزالي أن يضحكه بأكثر من نكتة، فكان اللواء يشيح بوجهه عنّا، ويزداد حزنه وألمه لضحكاتنا.. كان هذا في بيت اللواء خطاب، أثناء زيارة الشيخ الغزالي لبغداد، لحضور المؤتمر الإسلامي الشعبي عام ١٩٩٠م.

كان يرى من العار على العربيّ المسلم أن يفرح أو يبتسم بعد هزيمة حزيران، واحتلال ما بقي من فلسطين، وأسْرِ الأقصى وقبّة الصّخرة، وانتهاك القدس»[١].

*** في التأليف العسكري «اللواء محمود شيت خطاب» مجاهد يحمل سيفه في كتبه:**

للواء محمود شيت خطاب أربعة وتسعين كتابًا يقسمها أربعة أصناف:

أ ـ كتب عسكرية فنية تدرس في الكليات الحربية وكليات الأركان.

ب ـ التاريخ العسكري الإسلامي.

جـ ـ العسكرية السياسية.

د ـ اللغة العسكرية.

ويعتبر كتابه «الرسول القائد» أحب مؤلفاته إليه، ويقول إنه أول كتاب له، وقد ظل قرابة العشرين من السنين يعده ويستعد له قبل أن يقدمه إلى النشر، وقد تُرجم إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية وأكثر من لغة إسلامية.

ويلخص دوافعه إلى التأليف في الجانب التاريخي قائلاً: في الكلية الحربية لاحظت أن الأمثلة التي تعرض من تاريخ الحرب كلها أجنبية.. والأغرب من ذلك أن يكون معظمها عن القادة الذين فتحوا للاستعمار بلاد

(١) «اللواء الركن محمود شيت خطاب» (ص٤٤ ـ ٤٥).

العرب والمسلمين. ولا حصيلة لذلك سوى تعميق الانبهار بهم في نفس الضابط، وغرس الإيمان بتفوق أعداء أمته عليها في كل شيء.. وهناك كنت أتساءل: لِمَ لا نستمد هذه الأمثلة من تاريخنا وهو بها أغنى وأحفل؟ ثم أدركت أن وراء ذلك أمرين: الجهل بماضي هذه الأمة ورجالها. والثاني المنهج المخطط من قبل المستعمرين لسحق معنويات المسلمين.. ومن هنا جاءت رغبتي في إحياء هذه المنسيات والكشف عن تلك المؤامرات، فحزمت أمري على العمل بكل ما أمكنني لسد هذا الفراغ في مكتبتنا العسكرية.

وعن بواعثه لإخراج كتبه المعروفة عن «طبقات القادة» يقول: عندما كنت في سجن بغداد سألت العديد من الضباط عن القادة الذين فتحوا بلادهم، فلم أسمع جوابًا سديدًا، بل لم أسمع جوابًا قط، ومن هنا وجدتني مدفوعًا إلى تيسير هذه المعلومات الأساسية بالكتب المناسبة.

ومنذ العام ١٩٦٧م توقف عن الكتابة في هذا الجانب من التاريخ، لينصرف إلى الجوانب الأخرى التي كشفت نكبة ذلك العام عن مسيس الحاجة إليها في صفوف العسكريين، وبخاصة أنه يعتبر جهل العرب بالعدو الذي حاربوه كان السبب الأكبر في هزيمتهم أمامه. وهكذا أكب منذئذ على الكتابة في الدراسات العسكرية، فكان من ذلك «الوجيز في العسكرية الإسرائيلية» و«العسكرية الإسرائيلية» و«حقيقة إسرائيل» و«دراسات في الوحدة العسكرية»، و«أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية» و«طريق النصر في معركة الثأر» و«الأيام الحاسمة قبل معركة المصير وبعدها» وما إليها.

وتقوده دراساته وخبراته العملية والنظرية في المجال العسكري إلى وجوب العناية بتوحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية، فدعا إلى تكوين لجنة عامة من ذوي التخصص، تتفرغ لوضع معجم عسكري موحد ـ بالكسر ـ واستجيب لدعوته فتألفت اللجنة، واختير ممثلاً للمجمع اللغوي

المصري فيها ورئيسًا لها، وعن هذه اللجنة صدر المعجم العسكري الموحد في أربعة أجزاء، إنجليزي عربي وبالعكس، وفرنسي عربي وبالعكس. وكان لهذا الصنيع مردود عال، إذ قدم للجيوش العربية واحدًا من أهم الوشائج الممهدة لوحدتها. هذا فضلاً عما في هذه الأعمال من دلالات على اهتمام المترجم بخدمة اللغة التي درج على حبها منذ نعومة أظفاره. وحسبنا أن نشير من ذلك بوجه خاص إلى ذلك المجهود الكبير الذي اقتضاه تتبع كلمات القرآن الكريم لاستخراج ما يتصل منها بالمصطلحات العسكرية. وفي هذا ألف الجزأين من كتابه «المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم»، وكذلك عني باستخراج ما انطوى عليه كتاب ابن سِيدَه «المخصص» من هذه الأصول التي لا يستغني عنها من يهمه صيانة العربية من غزو اللغات الأجنبية»[1].

لقد بلغت هذه المؤلفات من الروعة والعمق والشمول مستوى لم تُسبق إليه عودة إلى الجذور والينبوع الصافي، ورسمًا لطريق النهوض بالأمة عسكريًّا وفكريًّا.

١ ـ في التراجم:

١ ـ الرسول القائد ـ ط١ عام ١٩٥٨م في ٥٤٠ص.

٢ ـ الصدّيق القائد ـ في ٣٢٠ص.

٣ ـ الفاروق القائد ـ ط١ عام ١٩٦٥م في ٢٣٠ص.

٤ ـ خالد بن الوليد المخزومي ـ ط١ عام ١٩٧٠م في ٣٢٠ص.

٥ ـ عقبة بن نافع الفهري ـ ط١ عام ١٩٧١م في ٣٢٠ص.

٦ ـ عمرو بن العاص ـ جزءان ـ ط١ عام ١٩٩٦م في ٣٨٢ص.

٧ ـ قادة النبي ﷺ ـ ط١ عام ١٩٩٥م ٦٦٩ص.

---

(١) «علماء ومفكرون» (١/ ٣٤١ ـ ٣٤٣).

٨ ـ سفراء النبي ﷺ ـ جزءان ـ ط١ عام ١٩٩٦م في ١٢٦٢ص.

٩ ـ قادة فتح العراق والجزيرة ـ ط١ عام ١٩٦٤م في ٥٠٠ص.

١٠ ـ قادة فتح بلاد فارس ـ ط١ عام ١٩٦٤م في ٥٢٠ص.

١١ ـ قادة فتح بلاد الشام ومصر ـ ط١ عام ١٩٦٤م في ٥٤٠ص.

١٢ ـ قادة فتح بلاد المغرب العربي (جزءان) ط١ عام ١٩٦٥م في ٥٦٠ص.

١٣ ـ قادة فتح السند وأفغانستان ـ ط١ عام ١٩٩٨م في ٤٢٢ص.

١٤ ـ قادة فتح أرمينية ـ ط١ عام ١٩٩٨م في ٥٠٤ص.

١٥ ـ قادة فتح بلاد الروم (جزءان) ـ ط١ عام ١٩٩٨م.

١٦ ـ قادة فتح بلاد ما وراء النهر ـ جزءان ـ ط١ عام ١٩٩٨م في ٥٢٤ص.

١٧ ـ قادة فتح بلاد الأندلس ـ جزءان ـ مخطوط.

١٨ ـ ومضات من نور المصطفى ـ ط١ عام ١٩٧٢م في ١٢٠ص.

١٩ ـ هنيبال.

٢٠ ـ المشير فون رونشتد ـ ط١ عام ١٩٦٢م في ٤٠٠ص.

٢ ـ في الدراسات العسكرية:

١ ـ بين العقيدة والقيادة ـ ط١ عام ١٩٧٢م في ٦٥٠ص.

٢ ـ دروس في الكتمان ـ ط١ عام ١٩٦٩م في ٥٥ص.

٣ ـ إرادة القتال في الجهاد الإسلامي ـ ط١ عام ١٩٦٤م في ٤٠ص.

٤ ـ الرسالة العسكرية للمسجد ـ ط١ عام ١٩٦٨م في ٣٢٠ص.

٥ ـ غزوة بدر الكبرى ـ ط١ عام ١٩٧٢ في ٤٨ص.

٦ ـ العسكرية العربية الإسلامية ـ ط١ عام ١٩٨٣م في ٢٠٠ص.

٧ ـ المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ـ جزءان ـ ط١ عام ١٩٦٦م في ١٠٠٠ص.

٨ ـ أهمية توحيد المصطلحات العسكرية ـ ط١ عام ١٩٦٥م في ٤٠ص.

٩ ـ المعجم العسكري الموحَّد (عربي ـ إنكليزي) ط١ عام ١٩٧٢م في ٨٠٠ص.

١٠ ـ المعجم العسكري الموحَّد (إنكليزي ـ عربي) ط١ عام ١٩٧٠م في ١٠٠٠ص.

١١ ـ المعجم العسكري الموحَّد (فرنسي ـ عربي) ط١ عام ١٩٧١م في ٨٠٠ص.

١٢ ـ المعجم العسكري الموحَّد (عربي ـ فرنسي) ـ ط١ عام ١٩٧٣م في ٨٠٠ص.

١٣ ـ تعريب المصطلحات العسكرية وتوحيدها ـ ط١ عام ١٩٨٥م في ٦٣ص.

١٤ ـ أهداف إسرائيل التوسعية ـ ط١ عام ١٩٦٦م.

١٥ ـ الأيام الحاسمة قبل معركة المصير ـ ط١ عام ١٩٦٧م في ٢٥٠ص.

١٦ ـ حقيقة إسرائيل ـ ط١ عام ١٩٦٧م في ٢٢٠ص.

١٧ ـ طريق النصر في معركة الثأر ـ ط١ عام ١٩٦٦م في ٤٩٥ص.

١٨ ـ الوجيز في العسكرية الإسرائيلية ـ ط١ عام ١٩٦٧م في ٢٥٠ص.

١٩ ـ دراسات في الوحدة العسكرية العربية ـ ط١ عام ١٩٦٨م في ٢٦٠ص.

obeikandl.com

٢٠ ـ التصور الصهيوني للتفتيت الطائفي ـ في ١٠٠ص.

٢١ ـ القتال في الإسلام.

٢٢ ـ الأمثال العسكرية في كتاب (مجمع الأمثال).

٢٣ ـ الوحدة العسكرية العربية ـ ط١ عام ١٩٧٠م في ٣٥٠ص.

٢٤ ـ العسكرية الإسرائيلية ـ ط١ عام ١٩٦٨م في ٦٠٠ص.

٢٥ ـ العدو الصهيوني والأسلحة المتطورة ـ ط١ عام ١٩٨٧م في ٣٥٠ص.

٢٦ ـ جيش النبي ﷺ ـ ط١ عام ١٩٨٠م في ١٠٠ص.

٢٧ ـ الإسلام والنصر ـ ط١ عام ١٩٧٢م في ٢٤٨ص.

٢٨ ـ التدريب الفردي ليلاً ـ ط١ عام ١٩٥٤م في ١٥٠ص.

٢٩ ـ القضايا الإدارية في الميدان ـ ط١ عام ١٩٥٠م في ٢٠٠ص.

٣٠ ـ الشورى العسكرية النّبويّة ـ ط١ عام ١٩٩٠م في ١٧٤ص.

٣١ ـ الشورى في المواثيق والمعاهدات النبوية ـ في ٢٠٠ص.

٣٢ ـ الأدلة الرسمية في التعابي الحربية (تحقيق) ـ ط١ عام ١٩٨٨م في ٢٧٢ص.

٣٣ ـ أسباب انتصار الرسول القائد.

٣٤ ـ التوجيه المعنوي للحرب.

٣٥ ـ أسرار الحرب العالمية الثانية.

❑ وعن مستقبل الجيل الذي يسهم في خدمته مع إخوانه رجال الفكر والدعوة، يأتينا جوابه مكثفًا في هذه الكلمات:

«يقول سيادته: إن قوى هائلة تعمل على تحطيم هذا الجيل، وتفتيت قدراته، وكانت من قبل مقصورة على العدو الخارجي، أما اليوم فقد وجدت

لها مرتكزات لا تحصى في الداخل. وهو لا يفرق بإزاء هذه القوى ما بين قطر وآخر من ديار المسلمين، بل يعتبر المحنة متشابهة فيها جميعًا.

ويقول: إن أفكاره حول هذا الموضوع مبثوثة في العديد من مقالاته ومصنفاته، ويخص بالذكر منها كتابه «بين العقيدة والقيادة» و«الإسلام والنصر» وفي كل من العنوانين صورة بليغة التعبير عن وجهة نظره في هذه الناحية، وتركيز دقيق على ارتباط مستقبل هذا الجيل صعودًا أو هبوطًا بمدى التزامه هداية الإسلام، أو إعراضه عنها»[1].

*** موقفه من المستشرقين:**

اللواء خطّاب عسكريّ يقظ، لا تلتبس عليه الأمور، ولا يستطيع الخبثاء من المستشرقين والمستعمرين التدليس عليه، أو الإيقاع به، في دراساتهم المطليّة بالموضوعية والبحث العلميّ ـ زعموا ـ وهي مليئة بالمفتريات والافتيات على كلّ ما يمتّ إلى العروبة والإسلام بصِلة.. إنها سموم مطلية بحلاوة صناعية.. ولمعرفة خطّاب بهذا، انطلق في اتجاههم.. واجههم.. تصدّى لهم.. وتعقّبهم، وألقمهم أحجارًا تسدّ أفواههم ذات الأنياب الحمر والزرق، وتكسر أقلامهم، في أبحاث علميّة رصينة، قائمة على الأدلّة والبراهين.

فمثلاً البطل عقبة بن نافع، كان، وما يزال وسيبقى، المثل الأعلى للقائد الفاتح، والبطل الفذّ، والمؤمن الحق، والمجاهد الصادق، لذلك حاول الاستعمار بأذنابه، الانتقاص من قدره قائدًا، ليحطّم تأثيره العميق في نفوس العرب والمسلمين في شمال إفريقية بخاصة، وفي العالم العربيّ والإسلاميّ كلّه بعامّة.

ردّ خطّاب على أولئك الحاقدين من المستشرقين وأذنابهم المستغربين في

(١) «علماء ومفكرون» (١/ ٣٤٣).

كتاب كامل قوامه (٣٢٧) صفحة، كما تعقّبهم وردّ عليهم مزاعمهم في أهداف الفتح الإسلامي، وفي سواها من الموضوعات، وكتبه مليئة بهذه الردود المهمّة.

*** شروط النَّهضة:**

يحدّد اللواء خطاب الشروط الواجب تحقّقها في العلماء، من أجل النهوض بالأمة العربية والإسلامية فيراها في: «سعة الأفق العلميّ التي تمكّن من فهم العصر وما يعتريه من مشكلات، وما تتطلبه من حلول في ضوء الإسلام. ثم في الإخلاص للّه، بحيث لا يخاف ـ العالم ـ في الحقّ لومة لائم. والثالث: الحفاظ على كرامة العلم، فلا يمتهنها بالحاجة لغير اللّه. يقول:

«إن المسلمين اليوم في حاجة ماسّة إلى قادة كخالد والمثنّى و.. إلا أنّ حاجتهم إلى العلماء العاملين أمسُّ وأشدّ.

«هناك أزمة ثقة بين الشيوخ والشباب، ومردّ هذه الأزمة إلى فقدان عنصر القدوة الصالحة في معظم الذين يُعدّون في الشيوخ، ويظنّون أنّ كلّ ما عليهم، هو أن يحسنوا عرض الموعظة السطحيّة، ولو كان سلوكهم الشخصي أبعد ما يكون عما يدعون إليه»[1].

*** مع الزعماء:**

❑ قال اللواء خطاب:

«لقد رأيت قبل اليوم ـ ولا أقول: زرت ـ كثيراً من الملوك والرؤساء والأمراء والوزراء والقادة والزعماء، وكثيراً من ذوي الجاه والسلطان، في

(١) «محمد المجذوب «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٣٤٤).

نطاق البلاد العربية والدول الإسلامية وغير الإسلامية أيضًا، فكان شعوري عند رؤيتهم متفاوتًا بين الاحترام، والسخرية، والرثاء:

احترامًا للذين يعملون من أجل المصلحة العامة حقًّا، بكفاية وإخلاص، منكرين أنفسهم، ناسين مصالحهم الشخصية. وما أقلَّهم!.

وسخرية من الذين لا يعرفون واقعهم وأقدار أنفسهم، فيتخيّلون لأنفسهم عظمة لا وجود لها، وإنجازات لا حقيقة لها، ويصدّقون مَنْ حولهم من الإمّعات والتافهين والوصوليّين والهتّافين وأشباه الرجال، في ادّعاءاتهم الباطلة؛ عبقرية ونبوغًا.

ورثاء للذين يشغلون مناصب أكبر من قابلياتهم.. فهم أقزام يطمعون أن يصبحوا عمالقة، فأرشدتهم حاشية السوء إلى أن السبيل إلى ذلك، هو أن يحطّموا العمالقة، ليخلو لهم الجوّ، فلا استطاعوا أن يحطّموا العمالقة، ولا استطاعوا أن يصبحوا عمالقة، وبقوا أقزامًا لا يستحقّون إلا الرثاء.. ولكنني لم أشعر مطلقًا بأيّ نوع من أنواع الاضطراب عند رؤيتهم جميعًا، ولم أخش منهم أحدًا، فليس لدي ما أخافهم عليه، وليس لديهم ما أطمع فيه، وما عند الناس لا يبقى، وما عند اللَّه خير وأبقى. ولو أن الإنسان أخرج من نفسه كلمة واحدة، هي الطمع، بما فيها من معان، لانكشف عنه الغطاء، ولنظر إلى ملكوت السماوات والأرض»[1].

إنه شموخ المسلم المعتز بإيمانه وإسلامه وكرامته.. وأين هذه المعاني من الكتّاب والمثقفين والعلماء والزعماء الذين لا يعرفون غير العبودية للمتألّهين في الأرض من الطواغيت!.

(١) «تدابير القدر» (ص٧١ ـ ٧٢).

* موقفه من الوحدة العربية:

اللواء خطّاب وحدويّ حتى العظم، والوحدة جزء من عقيدته كسائر المسلمين. يقول:

«والوحدة قدر، والقدر أقوى من البشر. بها يكون العرب كلّ شيء، وبدونها يكون العرب لا شيء. وهي سلاح يقضي على إسرائيل، والتفرقة سلاح يقضي على العرب. وإذا كانت الوحدة ضرورية أبدًا، فإنها أصبحت أكثر من ضرورية بعد خلق إسرائيل.. إنها قضيّة مصير.. إنها قضيّة حياة أو موت.

والذين يقاومون الوحدة نكاية بأشخاص معيَّنين، مخطئون، كالذين يريدون الوحدة من أجل أشخاص معيَّنين.. إن الوحدة إلى بقاء، والأشخاص إلى فناء. فيجب أن نعمل للوحدة من أجل الوحدة، ومن أجل عزّة العرب ومجدهم، ومن أجل القضاء على إسرائيل».

وضرب لنا مثلاً بإخوان سورية الذين وقفوا ضدّ انفصال سورية عن مصر، على الرغم ممّا ذاقوه هم وإخوانهم في مصر على يد جمال عبدالناصر ونظامه المفرط في الديكتاتورية والقسوة والاستبداد.

* الإسلام هو الحلّ:

الإسلام هو الحلّ لسائر قضايا الأمة؛ السياسية والاقتصادية والعسكرية، والاجتماعية، وبغير الإسلام تتفاقهم المشكلات، وتتردَّى الأمّة، ويطمع بها أعداؤها، فنحن أمّة أعزّنا اللَّه بالإسلام، فإذا طلبنا العزّة بغيره، أذلّنا اللَّه.

❑ والطريق إلى النصر الاتباع ورفض الابتداع ومهاجمة المبتدعين. للَّه دره من قائد نصح فوفى، ووفى لأمته في زمن عز فيه الوفاء.

* **الشيخ أحمد ديدات الذي زلزل أركان التنصير:**

الذي زلزل أركان التنصير في جنوب أفريقيا، وناظر زعماءهم في أمريكا، وتحدى البابا ودعاه إلى مناظرة علنية، فما استطاع أن يجيبه إلى طلبه.

يقول هذا الداعية الذي يجوب القارات شرقًا وغربًا رادًّا على افتراءات اليهود والنصارى مزلزلاً لعهديهم، يقول ديدات في خاتمة كتابه «هل الكتاب المقدس كلام اللَّه»:

«ولا بد أن القارئ إذا كان ذا ذهن متفتح، أن يكون قد اقتنع الآن أن الكتاب المقدس ليس كما يدعي أتباعه من النصارى، وخلال أربعين سنة يسألني الناس؛ كيف لي بكل هذا العلم بالنصرانية وكتابها، وبصراحة فخبرتي باليهودية والنصرانية ليست من اختياري، بل قد أُرغمت أن أكون هكذا.

عندما كنت أشتغل مساعد بائع عام ١٩٣٩ بجانب معهد لتخريج الوعاظ، كنت وأصدقائي هدفًا دائمًا لخريجي هذا المعهد، فلم يكن يمر يوم لا يضايقنا فيه هؤلاء بإهاناتهم للإسلام ونبي القرآن، وقد كنت شابًّا حساسًا في العشرين من عمري، فكنت أقضي ليالي عديدة ساهرًا أبكي، لضعفي وعدم قدرتي على الدفاع عن النبي ﷺ، وهو الذي أُرسل رحمة للعالمين، وقررت دراسة القرآن والكتاب المقدس والكتب التي تتحدث عنهما؛ واكتشافي لكتاب «إظهار الحق» كان أول خطوة في تغيير مجرى حياتي، وبعد فترة كانت لدي القدرة على أن أدعو أولئك الوعاظ للمناقشة، وأحرجهم بالحقائق المعروضة، مما اضطرهم لاحترام الإسلام ونبيه».

بائع الملح الهندي أحمد حسين ديدات الذي عاش في جنوب إفريقيا، الذي أصبح يجادل آباء الكنائس وعلماء اللاهوت وزعماء التنصير.

هذا الرجل الذي يدعو إلى اللّه عز وجل عن طريق المحاضرات واللقاءات في كل مدينة يذهب إليها، وفي كل جامعةٍ يزورها، وقد ألقى محاضراتٍ في بريطانيا، أيرلندة، أمريكا، كندا، هونج كونج، سنغافورة، الهند، زيمبابوي، موريتانيا، ملاوي، أبو ظبي، السعودية، وأعظم تجمع استمع له أكثر من ٣٠ ألف مستمع في جرين بوينت في مقاطعة الكاب.

هذا الرجل الذي تناظر مع اثنين وثلاثين قسيساً في أماكن مختلفة من العالم، وأشهرها في نظره المناظرة التي كانت في قاعة الألبرت هول في لندن، وقد حضرها جَمْعٌ غفير من الناس بمختلف الأديان والطوائف.

❑ الداعية عالي الهمة الذي أقنع أحد رجال الأعمال، ممن يشغل وظيفةً في مركز الدعوة الإسلامي في مدراس، بإنشاء معهدٍ للدعاة، وبدأ ديدات في تدريب الدعاة على طول الساحل الجنوبي هناك، واستمر العمل في هذا المعهد لمدة عشر سنوات متصلة، وخرج جيلاً من الدعاة لنشر الدعوة في الكرة الأرضية؛ شرقها وغربها.

هذا الرجل الذي تحدى النصارى قائلاً: «لكل مسألة جدلية تقدمونها لي تأييدًا لدينكم، سأقدم لكم عشرًا ضدها»[1].

أسس مركز نشر الإسلام في عام ١٩٥٨م في جنوب إفريقيا، يوزع ١٠٠,٠٠٠ من ترجمة معاني القرآن بالإنجليزية.

❑ قال ديدات: «إن النبي ﷺ قال: **«اليد العُليا خيرٌ من اليد السفلى»** وهذا يعني أن الذي يعطي، أرفع منزلةً من الذي يأخذ. إن مهمتنا هي أن

(١) من الحوار الذي أجرته معه فايزة أمبا في جريدة «عرب نيوز» السعودية التي تصدر بالإنجليزية.

نخرج لنبلّغ رسالة اللَّه، إننا في مكانةٍ أعلى من الناحية العقائدية».

❑ يقول ديدات: «إذا امتلكنا أشعة الليزر فلن تجدينا عن الدعوة إلى اللَّه شيئًا؛ لأن الدين يظهر بالدعوة والمجاهدة.

❑ ويقول: «ملايين الخطط وملايين المتفرغين المنصرين، هدفهم تحويل العالم الإسلامي إلى النصرانية ونحن نغط في نومٍ عميق».

❑ ويقول: «علينا أن نتجاوز القضايا الهامشية في مناظرتنا للنصارى، ونجادلهم في أصل الخلاف الذي هو قضية التوحيد».

❑ ويقول: «الأمة التي تملك هذه الأموال الطائلة التي بيد المسلمين، ولا تنفقها في الدعوة، أمةٌ تستحق الدمار، وسيحاسبها اللَّه يوم القيامة».

❑ يقول ديدات: «كنت أسأل الجمهور الذين التقيت بهم: «هل سيظهر هذا الدين؟» ويقولون: نعم، إنه الحق، وإن الدين غالب على الجميع. فأقول: إذا كنتم تؤمنون بذلك، فلماذا تستندون على ظهوركم دون أن تفعلوا شيئًا، وتركبون السيارات الفاخرة، وتنفقون الأموال الطائلة فيما لا يفيد، وتقولون: الدين غالب، دون العمل له؟!».

❑ ويقول: «شرط اللقاء والتحدث مع النصارى: التحدث عن العبودية للَّه وحده، فالحديث عن التوحيد شرط التناظر مع النصارى».

«يسرق النصارى أطفالنا، ففي ليستر بريطانيا وضعوا خطة بميزانيةٍ تقدر بملايين الدولارات لتنصير الفولانيين في نيجيريا».

«الآن يتفرغ لنا المنصرون بالملايين، حيث يتوزعون حول العالم لتنصير المسلمين، وهم يقرعون أبوابنا في بلادنا، فقد تنصر (١٥) مليون أندونيسي، وهم يفخرون ـ الآن ـ بأنهم استطاعوا تنصير الباكستانيين والبنغاليين الآن أكثر من أيام الاستعمار البريطاني هناك، وهناك الآن مئات الآلاف متفرغون

للتنصير في إفريقية»[١].

يا أيها الموحِّدون، يا ورثة خير النبيين وأعلاهم همة: «إن الإسلام لا بواكي له».

❑ يقول ديدات: «هناك مجموعة صغيرة من النصارى قد طبعوا أكثر من (٨٤) مليون نسخة من كتابٍ واحد، بأكثر من (٩٥) لغة مختلفة، ويطبعون (١٠٢) مليون نسخة من مجلة شهرية بأكثر من (١٠٢) لغة، ويصدرون من مجلةٍ أُخرى تسمى اليقظة (٨,٩) مليون نسخة في الشهر، بأكثر من (٥٤) لغة. وميزانية الرجل «سويجارت» مليون دولار يوميًّا، ونحن المسلمين بكل دخلنا من البترودولار، لا نستطيع أن ننفق مليون دولار للدعوة في السنة الواحدة.

النصارى أصبحوا يجرفون المسلمين في كافة أنحاء العالم، ولكن ليس هناك من يبكي لهذه النتيجة، بينما نرى النصارى يندفعون على نطاق واحد لنشر دينهم، والتضحية بحياة الترف والبذخ، والعيش في أدغال إفريقية والصحاري الحارقة لنشر دينهم.

فالأيرلنديون ـ مثلاً، وهم من الفقراء في بريطانيا مقارنةً بالإنجليز ـ يبعثون آلاف الرجال والنساء لخدمة المسيح عليه السلام ـ كما يزعمون ـ في العالم، وفي الكنيسة الكاثوليكية والرومانية، ترى الكثير من القساوسة والراهبات الأيرلنديات، لماذا؟! لأنهم يربون من الصغر على التضحية في سبيل المسيح ـ عليه السلام ـ ومن أجله.

أما نحن، فصحيح أنهم يربوننا بالصلاة وتربية اللحية، وهذا جميل، ولكنه جزء، فقلما تسمع على المنبر من يحمسك ويشجعك على الانطلاق

(١) من كتاب «أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن» ـ كتاب المختار الإسلامي.

والدعوة إلى اللَّه في بقاع العالم. كلهم يحدثونك عن الصلاة والزكاة.. إلخ، ولكن قلما يكون الحديث لنشر الدين.. أين الجهاد؟»[1].

وصدق الداعية ديدات الذي تمتزج الدعوة بدمه ولحمه.

في مدينة ملكال في جنوب السودان، تأتي المبشرة من بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا، أُوتيت الواحدة منهن قدرًا من الجمال يؤهلها لحياة الترف في أرقى المدن رفاهية.. تأتي المبشرة طبيبة أو غيرها تعيش في القطاطي.. الواحدة منهن خص من البوص المطين، تعيش الواحدة منهن على طعام الويكا ـ البامية المجففة ـ وتشرب من النهر مباشرة، فليس هناك صنابير للمياه.. ترعى أطفال السودانيات، وتشرف على علاج الأطفال والإشراف على تغذيتهن، في بيئاتٍ لا يرضى أن يعيش فيها السودانيون أنفسهم، وتصبر الواحدة العام الطويل حتى تدعو إلى النصرانية.

❑ يقول ديدات: «إن المسلم يملك هذا الدين.. يملك البرهان عليه، وعليه أن يصحو، ويعلم أنه يملك «جرافة» منحها اللَّه إياه، تحطم كل الصخور ـ صخور الأصنام والجاهلية ـ هي هذا الدين، فعليه استخدامها لنيل العزة، ولكن تصرفاتنا تدل على ألا عزة لنا في هذا العالم، مع أن أصل العزة للَّه ولرسوله وللمؤمنين».

❑ ويقول ديدات: «من مائة ألف صحابيٍّ حضروا حجة الوداع، لم يدفن في المدينة منهم إلا عشرة آلاف، أين ذهب الباقون؟ فهموا معاني الشهادة والتبليغ للرسالة، وانطلقوا في الآفاق يمتطون خيولهم وجمالهم، ينشرون دعوة اللَّه ويبلغونها للعالمين، أدركوا رسالتهم للعالم، ولم يكتفوا

(١) أحمد ديدات من كتاب «المختار الإسلامي» ـ نقلاً عن مجلة الإصلاح الخليجية، بقلم الأستاذ صفوت منصور.

بالجلوس في بيوتهم ومساجدهم يقيمون نصف الدين ويتركون النصف الآخر».

إلى القابعين في منازلهم.. «يكفيكم أن تعرفوا أن عدد المنصرين (١٧) مليون شخص في جميع أنحاء العالم».

ولعل من أهم مناظرات الداعية عالي الهمة أحمد ديدات، مناظرته الشهيرة في أمريكا مع «المنصر الصليبي القس جيمي سويجارت، صاحب الأحاديث التلفزيونية التي يشاهدها أكثر من مليوني شخص في الولايات المتحدة، وتصل لأكثر من ١٤٠ بلداً واستطاع أن يحصل على أكثر من ١٤٠ مليون دولار سنويًّا، ويعتبر من أكثر المنصرين نفوذًا في العالم»[١].

ولقد أفحمه ـ على مرأى من الآلاف ـ أحمد ديدات، وفي المناظرة تطاول على رسول اللَّه ﷺ، فأخزاه اللَّه بعدها مباشرة «بفضائح مع المومسات في نيو أورليانز وفنادقها، وقد دفع أموالاً للمومسات؛ للقيام بأعمال داعرة، واعترف بخطيئته أمام ثمانية آلاف شخص من أتباع كنيسته، ونقلت الاعتراف كل كاميرات التليفزيون عبر الولايات المتحدة، وأجهش بالبكاء وهو يقدم اعترافاته يوم الأحد ٢/٢١ قائلاً: ليست لدي النية بتاتًا لنكران خطيئتي.. ولا أُسميها غلطة.. جريمة.. أنا أُسميها خطيئة.. كل من جلبت لهم الفضيحة والعار والإحراج.. السماح»[٢].

* وصدق اللَّه: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

ثم يعاود عالي الهمة ديدات الكرة مع رأس الأفعى بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني، ويدعوه إلى «حوار في لقاء علني في ميدان القديس بطرس في

(١، ٢) من كتاب «أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن» كتاب المختار الإسلامي.

روما مقر البابوية، وفي الوقت والزمان المناسب لقداسته.

ولما لم يرد البابا على تلك الرسالة، عاود الشيخ ديدات الكرة، وأرسل له ثلاثة خطابات أُخرى وبرقية، وهنا رد الفاتيكان مقترحًا إجراء مثل هذا الحوار في سكرتارية الفاتيكان وليس في مكان علني.

رد الشيخ ديدات على بابا الفاتيكان برسالة جاء فيها: «يسعدنا أنكم ترتبون للقاء معنا، ولكننا نتمسك بأن يكون مثل هذا اللقاء علنًا، كما كان في خطابنا المفتوح إليكم، والذي اقترحنا فيه مثل هذا اللقاء، وذلك من أجل الملايين المؤمنة بالمسيحية والإسلام، من أجل الحقيقة وإرضاء الرب.. ومع هذا فيمكننا الالتقاء بكم حسب رغبتكم في السكرتارية، ولكن هناك العديد من المسلمين في جنوب إفريقيا فقط، والذين يصرون على حضور هذا اللقاء، لذلك نرجو إفادتنا عن الإمكانيات المتاحة في سكرتارية الفاتيكان والخاصة بإسكان هؤلاء.

ونظرًا لوجود آلاف آخرين ممن يرغبون في حضور هذا الحوار، فإننا نطلب أيضًا تصريحًا بتصوير اللقاء بأجهزة الفيديو، حتى تصل مناقشتنا إلى الملايين الذين يودون الاستفادة من الحوار».

«وبعد أكثر من شهرين من الانتظار تم إرسال برقيتين أخريين؛ إحداهما إلى سكرتارية الفاتيكان، والأُخرى إلى البابا ذاته. وبعد شهر آخر تم إرسال برقيتين أُخريين دون جدوى»[1].

لله درُّك يا ديدات والله لا نقارن قلامة ظفره ببابا الفاتيكان.

ألم تَرَ أن السَّيْف ينقص قَدْرُه إذا قيل إن السيف أمْضى من العصا

ومن أراد أن يعرف قدر هذا الجبل الأشم الحاصل على جائزة الملك

(١) «أحمد ديدات: بين الإنجيل والقرآن» (ص٥٥ ـ ٥٧) المختار الإسلامي.

فيصل فلينظر إلى المناظرة بينه وبين القس الدكتور أنيس شروش بقاعة ألبرت بلندن في اليوم الخامس عشر من ديسمبر سنة خمس وثمانين وتسعمائة وألف وموضوعها «هل عيسى إله؟»[1].

وانظر أيضًا إلى مناظرتين في استكهولم بين الشيخ ديدات وكبير قساوسة السويد استانلي شوبيرج بالسويد في السابع والعشرين من أكتوبر عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين (١٩٩١م)، وكان موضوعها «هل الإنجيل كلام اللَّه؟». وفيها أُفحِم القس وتبين دَجَلُه.

*** الرجل الرباني القرآني أبو الحسن الندوي (١٣٣٣هـ - ١٤٢٠هـ) (١٩١٤ - ١٩٩٩م) عميد الأدب الإسلامي وصاحب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»:**

الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالحي الحسني الندوي قال عنه الدكتور يوسف القرضاوي: «رباني الأمة والرجل القرآني والمحمدي الذي جعل الرسول الكريم ﷺ أسوته في هديه وسلوكه وحياته كلها، واتخذ مسيرته نبراسًا له».

العالم الجليل، والمصلح الذي ركّز جهوده على النهوض بالمسلمين في عصرنا الحاضر. وعميد الأدب الإسلامي الذي جعل للأدب الإسلامي نبراسًا ومنبرًا، ووجه الأدب إلى طبيعته الأصيلة، ووظيفة البناء والإصلاح. كان مصلحًا ربانيًّا اجتماعيًّا ومربيًا فاضلاً عاش حياة الزهد والورع، يقول الحق ولا يخاف لومة لائم.

---

(١) انظر «مناظرة العصر» ترجمة علي الجوهري ـ دار الفضيلة. وأنيس شروش من أصل فلسطيني مهاجر إلى أمريكا وحاصل على الدكتوراه في اللاهوت من «جامعة مسيسبي» الأمريكية.

❑ يقول الشاعر محمد المجذوب في رثائه:

بكيْنا وفاءً لامرئٍ قَلّ أن يُرى ... له في الدعاةِ العاملين نظيرُ
فخَلوُا كلامي إنْ ألحَّ بي البُكا ... فـإن فراق الصالحين عسـيرُ[1]

*** دراسته العلمية:**

❑ قال الشيخ محمد المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٣٦ ـ ١٣٨):

«تلقى الشيخ دراسته الأولية في العربية من الشيخ خليل محمد اليماني، حفيد المحدث الجليل الشيخ حسين بن محسن الأنصاري، وأتم دراسته الأدبية على الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، رئيس تدريس الأدب العربي بندوة العلماء يومئذ، ثم تعلم في دار العلوم ندوة العلماء ودار العلوم في ديوبند، وجامعة لكهنؤ، بتفوق ممتاز، والتحق بمدرسة الشيخ أحمد علي في لاهور حيث تخرج عليه في علم التفسير.

وقد استفاد في الحديث من الشيخ حيدر حسن خان، ونال الإجازة منه ومن الشيخ عبدالرحمن المباركفوري صاحب «تحفة الأحوذي» وحضر دروس العالم الكبير الشيخ حسين أحمد المدني في الحديث بدار العلوم في ديوبند، فجمع بين جهابذة الأدب والحديث والتفسير.

*** الرجال الذين أثروا في توجيهه:**

ويسمي الشيخ من الرجال الذين أثروا في توجيهه أخاه المرحوم الدكتور عبدالعلي الحسني، ويصفه بأنه جمع بين الثقافتين الدينيـة والعصرية، إذ تلقى دراسته في المدارس الدينية والجامعات العصرية. وأنه كان ذا فضل كبير على ثقافته.

(١) أبو الحسن على الحسني الندوي لمحمد اجتباء الندوي (ص٩) ـ دار القلم ـ دمشق.

ثم المشايخ أحمد علي اللاهوري والشيخ محمد إلياس مؤسس حركة الدعوة والتبليغ بالهند وفي العالم الإسلامي، ثم المربي الجليل الشيخ عبدالقادر الرائيبوري، ثم شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال، ثم السيد طلحة الحسيني أحد كبار الأساتذة في جامعة البنجاب.

ويدع الشيخ أثر هؤلاء الفضلاء دون تحديد، فلا يعلمنا في أي اتجاه، ولا من أي نوع، ولكن ذلك لا يحجب عنا الواقع الذي نعرفه من خلال آثار الشيخ، ومن خلال مسلكه في خدمة الدعوة، ثم من خلال ما اشتهر به بعض الذين نعرف آثارهم من أساتذته هؤلاء.

وفي ما كتبه الشيخ أبو الحسن عن روائع إقبال وأفكاره الإسلامية وتأملاته الفلسفية ما يكفي لاستخلاص الصورة المنشودة عن تأثيره في توجيهه الأدبي والفكري.

وقصارى القول في ذلك أن أبا الحسن قد وفق من ملابسته لهذه الثلة الممتازة إلى أن يجمع بين الثقافة الصحيحة والأسوة الحسنة. وإنها لبقية من منهج التعليم الإسلامي، الذي لا يقبل التفريق بين التعليم والتربية، ذلك المنهج الكريم الذي مسخه، بل نسخه، نظام التعليم الغربي، حتى أوشك أن يستحيل أثرًا بعد عين ـ ويا للأسف ـ !

*** العلوم التي يؤثرها:**

ويحدد العلوم التي يؤثرها بحبه فيحصرها في: القرآن الكريم، والحديث الشريف، ثم التفسير، والتاريخ، والأدب.

ولو سكت الشيخ عن هذا الجانب لأمكننا استخلاصه من مؤلفاته وبحوثه ومحاضراته وأحاديثه. وقديمًا قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقـــارن يقتـــدي

ولا قرين أعمق أثرًا في قلب الإنسان وعقله وسلوكه من العلم الذي ينسجم معه ويصدر عنه. ونحن بقليل من الممارسة والملاحظة نفرق بين امرئ وآخر عن طريق الحديث الذي نسمعه أو نقرؤه لكل من الاثنين. وقارئ أبي الحسن لا يفوته الإدراك بأنه ثمرة مونعة من حديقة الثقافة الإسلامية الأصيلة.

ثم إن الشيخ بجمعه بين هذه العلوم المتعددة في نطاق التفضيل، إنما يفعل ذلك إيمانًا منه بما يشملها من وحدة الإطار، فهو «لا يؤمن بالانفصال بين هذه العلوم، بل يرى كداعية إسلامي أن التاريخ مرآة الأمم البائدة، وخزانة العبر المبرزة لأسباب النهوض والهبوط في حياتها، فليس ثمة من سقوط أو نهوض يحدث عفوًا أو اتفاقًا، وإنما هي سنن وقوانين مرتبطة بتصرفات الأمم وأعمالها، فعلى هذه التصرفات والأعمال تتوقف مصايرها في مسيرة التاريخ».

وعلم القرآن والحديث، فضلاً عن كونه المصدر الرئيسي والمنبع الأول للثقافة الإسلامية، فهو كذلك الدليل الهادي إلى أسرار هذه السنن الإلهية وعملها في حياة البشر، وكل منهج لدراسة التاريخ لا يستمد من هذه الضوابط سيظل جهدًا ضائعًا ينقض بعضه بعضًا.

والتمكن من علوم الأدب والتمرس به أداة لا معدي عنها لإبراز هذه الحقائق والإفادة منها على أفضل الوجوه.

والشيخ، بارك اللّه في حياته وجهاده، قد علم كيف يستخدم هذه الأداة في خدمة مثله العليا أروع استخدام. ومتتبع ما يكتب يشعر بأن لعبارته الأدبية سحرًا لا يتوافر في العادة إلا للعلية من أصحاب المواهب، الذين تعمقوا سر الكلمة، وتفاعلوا به، وكان لقلوبهم أكبر الأثر في ما يصوغون. وتلك هي الخاصة الرئيسية التي يمتاز بها أبدًا أولو الأذواق الروحية من المتخرجين في مدرسة القرآن.

وبهذه الخاصة يتناول الشيخ الأحداث التاريخية، فإذا هي مائجة بالحياة وبالعبر.. وقلما تقرأ له بحثًا أو قصة أو حديثًا لا تلمس أثناءه هذه الصور الناطقة بالحكمة، وهذا ما يكاد الكاتبون عنه يجمعون عليه.

* النشاط المبارك للشيخ أبي الحسن الندوي:

أ ـ الشيخ وندوة العلماء:

يقول الشيخ محمد المجذوب عن الشيخ أبي الحسن الندوي وآثاره في ندوة العلماء ذات الماضي العريق في إذاعة العربية، وفي توضيح حقائق الإسلام، سواءً في قلوب طلاب الندوة، أو عن طريقهم بعد التخرج بين جماهير المسلمين في شبه القارة الهندية:

«ومن جميل الاتفاق أن أكتب هذه الأسطر باللاذقية ـ حيث أقضي إجازة الصيف ـ في حين يحتفل العالم الإسلامي بالمهرجان الذي نظمته ندوة العلماء في الهند ما بين ٢٥ و٢٨ شوال ١٣٩٥هـ. لمناسبة مرور خمسة وثمانين عامًا على إنشائها وبدء رسالتها العالمية، فكانت فرصة سعيدة لتلاقي رجال الفكر الإسلامي من المعنيين بقضايا التربية والتعليم، وشد ما كنت حريصًا على المشاركة فيها استجابة لدعوة كريمة، لولا أقدار محكمة صرفتني إلى اللاذقية بدل (لكهنؤ). وليس ثمة من ريب في أن تدفق وفود العالم الإسلامي أثناءئذ على ذلك المهرجان، إنما ينطوي خلال تكريمه لتلك المؤسسة المرموقة، على تقدير كبير لمجهود ذلك الشيخ الفاضل، الذي تسلم رايتها، فكان خير خلف لأولئك السلف الذين نهضوا برعايتها على مدى تلك العقود التسعة من السنين..

لقد أحسن الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي في مقاله الذي صدر به العدد الخاص بتلك المناسبة من جريدة (الرائد) تحت عنوان «في رحاب

المهرجان» إذ أبرز ما لا يجهله خبير من فضل أبي الحسن فيقول:

«الشيء الأصيل الذي كان يعمل في المهرجان ويعمل في كل ما يتصل به أولاً وآخرًا هو ذلك القلب الواسع الكبير الذي يخفق في جنب سماحة أستاذنا العلامة السيد أبي الحسن علي الندوي. فلولا عبقريته العميقة، ونظرته الواسعة، وفهمه الدقيق.. وفوق ذلك إيمانه الراسخ القوي، وإخلاصه في خدمة قضايا الإسلام، وتفانيه في حب اللَّه ورسوله، عن دراسة وتفقه.. فلولاه ولولا هذه الصفات العالية لم يكن لهذا المهرجان أي قيمة أو أهمية. ولولاه لما كان له أثره البعيد في تاريخ التعليم والتربية في هذه البلاد بوجه خاص، وفي العالم الإسلامي بصفة عامة.

ليس من سعادة الهند أو ندوة العلماء فحسب أن يوجد فيها مثل هذا الرجل العظيم المخلص المؤمن، بل إن وجوده سعادة لتاريخ العلم والثقافة والتعليم والتربية، وصفحة ناصعة في سيرة العلماء الأعلام والدعاة العظام. وإن العالم المعاصر لفي أمس الحاجة إلى أمثاله حتى يتبين هداه في مسيرة العلم والمدنية، ويعين خطاه في زحمة الصراعات والاتجاهات التي تموج بها المجتمعات الإنسانية اليوم».

ولا مبالغة في هذا الإطراء لذلك العالم الجليل الذي ـ كما قال شيخ الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود في تلك المناسبة ـ «أخلص وجهه للَّه، وسار في حياته سيرة المسلم المخلص للَّه تعالى ورسوله ﷺ فدعا إلى الإسلام بالقدوة الحسنة، ودعا إلى الإسلام بكتبه النقية، ودعا إلى الإسلام بسياحاته التي حاضر فيها ووجه وأرشد. فجزاه اللَّه خير ما يجزي عالمًا عن دينه».

ولا جرم فقد اطلع اللَّه على إخلاص هذا العبد الصالح ـ ولا نزكي على اللَّه أحدًا ـ فبارك في مساعيه، وبارك في مواعظه، وبارك في محاضراته العميقة الغور، الغنية بالحقائق، التي يلقيها هنا وهناك، في الهند، وفي البلاد

العربية، وفي إنجلترة.. وفي مختلف المؤتمرات الإسلامية، التي لا ينفك يشارك فيها، ويسافر إليها، مضحيًا براحته، ومغامرًا بصحته، فأكرمه سبحانه بالرضوان والقبول، حتى صارت المورد العذب لناشدي الحق.. لأنه لا ينشد من ورائها شهرة ولا منفعة.. ولا شيء إلا ابتغاء رضوان اللَّه.

وأنا لا أذيع مجهولاً من حياة الشيخ عندما أذكر أنه، وهو العضو الدائم في المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لم يقبل أن يصرف له فلس واحد من المكافآت السخية لمثله، ولم أعرفه نزل فندقًا قط على حسابها، على تعدد المرات التي حضر فيها اجتماعات هذا المجلس حتى الآن. وأنا لا أدري كم في علماء الإسلام من نظير لهذا الزاهد الكبير!

إن خاصة الزهد والترفع عن حطام الدنيا، في هذا الجسد النحيل اللطيف، الذي يكاد ينطق بقول ابن الرومي عن نفسه:

أنا من خف واستدق فما يُثْـ ـقِلُ أرضًا ولا يسد فضـاءَ

هذه الخاصة هي التي مكنت له في مضمار الإصلاح والنقد الاجتماعي، فلا يهادن باطلاً، ولا يكتم حقيقة.. وجعلت لكلامه مساغًا في الأسماع فلا تنكر عليه ما يقول.

وهو كالشيخ ابن باز في حسن تأتيه عند توجيه النصيحة الواجبة، يطرق بها أبواب القلوب في أسلوب من الحكمة والموعظة الحسنة، لا يسخط ولا ينفر، ولكنه يبعث على التأمل والتدبر والتفكر.

*** عالمية الشيخ:**

والإشارة إلى مشاركة الشيخ في عضوية المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة منذ تأسيسها، توجه الذهن إلى مشاركاته في العديد من المنشآت العلمية الأخرى.

إنه عضو مراسل في مجمعي اللغة العربية بدمشق والقاهرة. وهو مؤسس المجمع العلمي الإسلامي بالهند ورئيسه، كما أنه يرأس المجلس التعليمي لولاية (أتر بردلش) هناك، وهو عضو في المجلس التنفيذي لمعهد (ديوبند)، ومن أعضاء المجلس التنفيذي لدار المصنفين في أعظم كرة بالهند أيضًا.

والشيخ أحد رؤساء التحرير لمجلة «معارف» تلك المجلة العلمية الأكاديمية للمسلمين في شبه القارة الهندية.

هذا وقد أخرج المجمع الإسلامي بالهند سلسلة من ترجمات كتب الشيخ باللغة الإنجليزية تعميمًا لفوائدها، وسبق لمجلة المجمع اللغوي بدمشق أن نشرت عدة فصول من آثاره.

وهذه المشاركات الواسعة إنما تؤكد الصفة العالمية لهذا الرجل، الذي أجمع على تقديره رجال الفكر من مختلف الأقطار.

*** عمله في التأليف:**

وإلى القارئ هذه القائمة بأشهر مؤلفاته المطبوعة:

١ ـ مختارات في الأدب العربي (وهو من المقررات الدراسية في كثير من المدارس والجامعات).

٢ ـ القراءة الراشدة (ثلاثة أجزاء).

٣ ـ قصص النبيين للأطفال (خمسة أجزاء).

٤ ـ مذكرات سائح في الشرق العربي.

٥ ـ حديث مع الغرب.

٦ ـ روائع إقبال.

٧ ـ الأركان الأربعة.

٨ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية.

٩ ـ ربانية لا رهبانية.

١٠ ـ المسلمون في الهند.

١١ ـ إذا هبت ريح الإيمان.

١٢ ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام.

١٣ ـ القادياني والقاديانية.

١٤ ـ إلى الإسلام من جديد.

١٥ ـ المسلمون وقضية فلسطين.

١٦ ـ الطريق إلى المدينة.

١٧ ـ النبوة والأنبياء في ضوء القرآن.

١٨ ـ الصراع بين الإيمان والمادية.

١٩ ـ تأملات في سورة الكهف.

٢٠ ـ العرب والإسلام.

٢١ ـ النبي الخاتم.

٢٢ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

٢٣ ـ السيرة النبوية.

٢٤ ـ نحو التربية الإسلامية الحرة في البلاد الإسلامية.

وهذه الكتب نشرت كلها بالعربية، وترجم معظمها إلى مختلف اللغات كالتركية والإنجليزية والفارسية.

على أن هناك عشرات من مؤلفاته الأخرى باللغة الأردية، لم يذكر عنوانها.. ومحاضرات عدة نشرت منفردة في كراسات تتداولها آلاف الأيدي، ولم نشر إليها في هذا الجدول.

obeikandi.com

ويقول الشيخ: أن أحب هذه الكتب إليه هي: «الطريق إلى المدينة» و«النبوة والأنبياء في القرآن» وآثرها إطلاقًا هي «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» و«الأركان الأربعة» و«الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية»[١].

*** لله در الندوي:**

كان للندوي من خلال مؤلفاته القيمة دور عظيم في مكافحة الغزو الفكري، وبث روح الاعتزاز بالإسلام في المسلمين، وبخاصة في طبقة المثقفين والشباب، ومقاومة الردة وآثارها».

«وهذه المجهودات مما يدركه كل قارئ لكتب الشيخ في مختلف أنحاء العالم، سواء بلغاتها الأصلية أو المترجمة، فليس ثمة كتاب له إلا وهو توكيد لهذا الاتجاه الإصلاحي على أرفع المستويات»[٢].

*** «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» الكتاب القيم لأبي الحسن الندوي:**

«ترعرع الشيخ الندوي وشبّ وعاش آلام المسلمين وأحلامهم، وكان يفكر ويتحرّق على ما وصلوا إليه من الخسران والخذلان، وهل الخسارة هذه خسارة الأمة المسلمة وحدها أم هي للإنسانية جمعاء؟ وكان هذا الشعور قد تغلب عليه وهو الذي قاده إلى تأليف هذا الكتاب كما يقول الكاتب الكبير الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي «إنها قصة الإحساس والوجدان»[٣].

والكتاب صرخة مدوية لعودة الأمة، وأمة العرب بخاصة إلى القيادة من

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٤١ ـ ١٤٥).

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٤١).

(٣) «أبو الحسن الندوي» لمحمد اجتباء الندوي (ص٨١)، وتقديم «قصة كتاب» (ص٣ ـ ٤) دار القلم ـ دمشق.

جديد لتجبر الإنسانية خسارتها.

❑ يقول الشيخ محمد المجذوب في «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/١٤٦ ـ ١٤٧):

«لما صدرت الطبعة الأولى من كتاب «ماذا خسر العالم..» سمعت الأخ الأستاذ محمد المبارك يقول في وصفه: «إنه واحد من خير الكتب التي صدرت في هذا القرن».

وقرأت الكتاب في أناة محاولاً التحرر من إطراء الأستاذ المبارك إياه، ولكني لم أستطع ذلك لأني لم أجد تعبيرًا أكثر إنصافًا للكتاب من تلك الكلمة.

وأشهد لقد أعدت قراءة هذا السفر النفيس عددًا من المرات، بين قراءة كلية وأخرى جزئية، ولا أزال أحس عطشًا نحوه. وقد أثبتت طبعاته الاثنتا عشرة حتى الآن أنه جدير بكل إطراء يستحقه عمل عبقري، وحسبه تقديرًا ما ظفر به من أقلام كبار العلماء كأحمد أمين، وأحمد الشرباصي، ومحمد يوسف موسى، وسيد قطب.

وإني لأعتبر هذا الكتاب أنموذجًا لعقلانية الشيخ، فقد جمع بين التاريخ والفقه والبلاغة والنقد والتحليل، في انسجام تام بين عناصره جميعًا.

وإن القارئ المتدبر ليطل من خلال الكتاب على مواكب البشرية تتوالى نحو غاياتها كالسيول الدافقة في طريقها نحو المصب، وقد اختلفت بها السبل، فسيل يتحدر على غير هدى فيدمر كل ما يمر به، ثم يتلاشى في أعماق المحيط.

وآخر يتدهدى في نظام على غاية من الدقة والعظمة، فيشيع الخير والخصب والجمال في كل بقعة تعترضه.

إنها حركة الإنسانية في اضطرابها بين الخير والشر، بين الصراط المشرق

بنور الوحي، والمهامه الضائعات في ظلمات الجاهليات. بين القيادة النبوية العاصمة الراشدة، والقيادات الإبليسية الطاغية الحاقدة»[١].

❑ يقول الدكتور القرضاوي: «الكتاب نظرة جديدة إلى التاريخ الإسلامي، وإلى التاريخ العالمي من منظور إسلامي، وهو منظور عالم مؤرخ مصلح داعية، يعرف التاريخ جيدًا، ويعرف كيف يستخدمه لهدفه ورسالته، وقد ساعده على ذلك معرفته باللغة الإنكليزية، كما ساعده الحس النقدي، والحس الحضاري، والحس الدعوي، والحس الإصلاحي ـ وكلها من مواهبه ـ على تقديم هذه النظرة الجيدة من خلال كتابه الفريد»[٢].

❑ وقال الأديب المفكر الإسلامي سيد قطب في مقدمته للكتاب: «ولكنه لا يعتمد في هذا على مجرد الاستثارة الوجدانية أو العصبية الدينية، بل يتخذ الحقائق الموضوعية أداته، فيعرضها على النظر والحس والعقل والوجدان جميعًا، ويعرض الوقائع التاريخية والملابسات الحاضرة عرضًا عادلاً مستنيرًا، ويتحاكم في القضية التي يعرضها كاملة إلى الحق والواقع والمنطق والضمير، فتبدو كلها متساندة في صفه وصف قضيته بلا تمحل ولا اعتساف في مقدمة أو نتيجة، وتلك مزية الكتاب الأولى»[٣].

❑ ويقول الأديب الأريب الدكتور شكري فيصل ـ الذي أعجب بالكتاب إعجابًا كبيرًا وتأثر به ـ:

«إن ما يمتاز به المؤلف ويرتفع به إلى مصاف كبار المفكرين المسلمين.. ذلك هو نظرته الشاملة العالية إلى تطور الحياة الإنسانية.. إن الأبواب الخمسة

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

(٢) «مقدمة الدكتور القرضاوي لكتاب «قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم» (ص٣٣ ـ ٣٤).

(٣) مقدمة «ماذا خسر العالم» (ص٢٤) ـ طبعة دار القلم.

التي كسر عليها الكتاب لتدل على هذا الأفق العالي الذي يجتذب التاريخ الإسلامي والتاريخ العام ويركزه فيه، فمن خلال صفحات الكتاب تستطيع أن تستصفي تاريخ الدولة الإسلامية، والدول الأوربية من حيث الحياة الاجتماعية والدينية على السواء.. أن تلمّ بالخطوط العريضة للحركات الدينية وتلاقي هذه الخطوط وتوازيها واقتراب بعضها من بعض، وبُعد بعضها عن بعض»[1].

وهذا الكتاب عصارة دراسة مفكر واع عميق المطالعة، واسع الثقافة، خبير بالأمم والشعوب: أعمالها، وقائعها، مآثرها ومكارمها، بصير بالأخطار والعواقب والنتائج، ويصل بدراسته الحيادية المستقلة وبخبراته وتجاربه إلى أن الأمة التي كانت قد قادت الإنسانية سابقًا إلى شاطئ النجاة، هذه الأمة التي تقدر برسالتها الخالدة، وبقيمها الخلقية النورانية، وبمبادئها الفطرية المنطقية الواقعية، وبعقيدتها الصافية النقية الطاهرة، هذه الأمة هي الجديرة أن تقود الإنسانية جمعاء من جديد إلى الخير والفلاح، فالكتاب ثورة في دنيا العلم والفكر والحضارة والثقافة والتاريخ.

* السبيل إلى الإنقاذ:

❑ يقول الأستاذ محمد المجذوب:

«وحول مستقبل الجيل الإسلامي ومهمة علماء الإسلام نحوه يقول فضيلته: «إن الجيل الإسلامي الجديد سواءً في بلادنا ـ الهند ـ أو سواها من وطن الإسلام، يمر بمرحلة انتقالية على غاية من الأهمية.

لقد تجرع هذا الجيل مرارة الأفكار الأجنبية، وعاش في ظل نظم الحكم غير الإسلامي. ولا يختلف بعضه عن بعض في أي قطر وآخر؛ لأن هذه

(١) «مجلة الثقافة» ٨ ربيع الأول سنة ١٣٧٠هـ (١٨ ديسمبر ١٩٥٠).

النظم في جميع البلدان تستمد جذورها من الحضارة الغربية، فهي على منوال واحد. لكن الصورة اليوم تختلف عما كانت عليه في الماضي. إن تطبيق هذه النظم قد سهل عملية إقناع الجيل الحاضر بضلالها وبكونها جافة وجوفاء.

لقد أخفقت الحضارة الغربية في إسعاد المسلم كليًّا، وذلك من فضل اللَّه علينا، إذ كلما عرف العاملون للدعوة الإسلامية كيف ينتهزون هذه الفرصة، بتوجيه قواهم إلى الكشف عن مساوئ هذه النظم وما تقاسيه الشعوب في ظلها.. كلما فعلوا ذلك أحرزوا نجاحًا جديدًا لدعوتهم.

والمهم الأهم لقادة الفكر الإسلامي، بعد فضح الحضارة الغربية، أن يحسنوا تعهد قلوب المسلمين، بإلهاب العاطفة الدينية، وتعميق الإيمان بالآخرة على منهاج الدعوة الإسلامية الأول، على أن يستخدموا لذلك جميع الوسائل الحديثة والقديمة، وطرق النشر والتعليم والاستعداد المادي.

❑ ويقول الشيخ: من أجل تحقيق هذا الهدف لا مندوحة عن إعداد الكتب المفيدة في أسلوب عصري، وتربية الشباب الروحية بتوطيد الصلة بينهم وبين الربانيين، وتضييق الفجوة بين الإسلام وغير المسلمين، وذلك بتنظيم اللقاءات معهم، وتزويدهم بما يجهلونه من حقائق الإسلام.

ويختم فضيلته توصياته الرشيدة بقوله: إن القرآن العظيم وسيرة محمد ﷺ، قوتان في وسعهما أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان، وتحدنا في كل وقت ثورة مظفرة على العصر الجاهلي، وتجعلا من أمة مسلمة مخذولة أمة فتية مائجة بالحياة والحماسة والغيرة».

وفي هذه الخطوط المركزة خلاصة عميقة الغور تحمل ضروبًا من تجارب السيد أبي الحسن في دراسة الواقع الإسلامي، وطرق معالجته وتصحيحه.

*** لكن.. من لهذه العقبات!**

إن هاهنا نقدًا حادًا للحضارة الغربية، التي أفسدت الضمير الإنساني، فجنت على الإنسان بعامة والمسلم بخاصة، وهي نظرة ثابتة في أفكار الشيخ لا ينفك يعرض لها في كل ما يؤلف ويحاضر. وبذلك يلتقي مع كبار مفكري الإسلام والغرب المعاصرين، محمد إقبال، سيد قطب، وأخيه محمد، ومحمد محمد حسين، ومحمد البهي، وأنور الجندي، وألكسيس كاريل مؤلف «الإنسان ذلك المجهول» و..

وهاهنا كذلك توكيد على مفاسد النظم الحاكمة في بلاد الإسلام، بوصفها صورًا ممسوخة من تلك الحضارة المدمرة للروح. ويريد الشيخ من علماء الإسلام ومفكريه أن يستفيدوا من إخفاقها الذريع في معالجة قضايا المسلمين، لإبراز عظمة النظم الإسلامية، وقدرتها على تقويم كل عوج وتصحيح كل فساد.

وفي سبيل هذه الغاية يحث على الانتفاع بكل الوسائل الإعلامية، وبخاصة الكتاب الذي يعتمد الأساليب العصرية لنشر هذه الحقائق، إلى جانب التربية الروحية القائمة على الأسوة الحسنة.

ولا جرم أن في هذه التوجيهات الحكيمة، لو أمكن ترجمتها إلى الواقع، خيرًا كثيرًا.. ولكن.. وما آلمَ «لكن» هذه!!.. ما السبيل إلى هذه الترجمة؟.. وما الوسائل الموصلة إليها؟..

إن أهم أدوات الإعلام في ظل الحياة الإسلامية تتركز في هذه المنطلقات الأربعة: المسجد، المنهج التعليمي، الكتاب، السلوك الاجتماعي.

ففي المسجد تُبنى النفوس المؤمنة على مراقبة اللَّه، والعناية بشئون عباده.

وبالمنهج الإسلامي في التعليم يتكون اليقين بقداسة العلم، على أنه

النور الذي يهدي به اللَّه من اتبع رضوانه سبل السلام.

ثم يأتي الكتاب الإسلامي تفصيلاً لهذه المبادئ وإيضاحًا لحقائقها.. ومن هذا وذاك يتكون السلوك المثالي الذي يميز مجتمع الإسلام.

والأربع المنطلقات هذه قد ارتفع عنها سلطان الإسلام في معظم أقطاره. لأن النظم الطاغية قد فرضت رقابتها عليها جميعًا، فليس لخطيب المسجد أن يعلن كلمة اللَّه إلا ملفوفة بألف غشاء.. وكثيرًا ما يكره على ترديد أفكار الطواغيت أنفسهم، وقد يعرض نفسه للعزل والسجن، بل والإحراق حيًّا، إذا جرؤ على الإشارة إلى حكم اللَّه في قوانينهم ـ كما حدث في الصومال منذ مدة ـ ولم يبق للفكر الإسلامي أي صلة بمنهج التعليم؛ لأنه أُخضع للأيدي الملحدة أو المضللة تعبث به كيف تشاء، وإذا استبقت للإسلام فيه من أثر فللتمويه على البسطاء، ولإبرازه في مركز الضعف بإزاء المواد الأخرى التي استغرقت معظم المنهج، وفيها الكثير مما يصادم حقائقه البديهية.

وأي كتاب إسلامي يتاح له الظهور في مثل هذه المباءات المغلقة، إلا أن يحمل من مسوغات الظهور ما يقصم الظهور!

ولا حاجة للإسهاب في وصف المجتمع الذي يرزح تحت هذه الكوابيس، بعد أن فسدت عناصر تكوينه جميعًا.

ذلك هو واقع المسلمين في كل مكان إلا من رحم اللَّه.. ولا بد لنا من ملاحظته في كل ما نصف له من علاج.

وكلمة أخرى في شأن الكتاب.

من فضل اللَّه على القلم المؤمن أنه لا يزال قادرًا على التصريح ولو ببعض الحق، وفي بعض المواطن.. إلا أن في مقدمة العقبات التي تواجهه قلة القراء الذين يعنيهم أمره.

لقد سلكنا الطريق إلى مكافحة الأمية، وكدنا نغرق البلاد الإسلامية بالمدارس على اختلاف أقسامها، وبذلك كثر الذين يحسنون القراءة. ولكن حظ الكتاب الإسلامي من هؤلاء القراء ظل قليلاً محدوداً؛ لأن التوجيه المدرسي والإعلامي قد سبق إلى عقله فصرفه إلى الترهات، فما لبث أن فقد القدرة على استساغة الحقائق.. ثم جاءت الدعايات الساذجة، التي يتطوع لإشاعتها عن حسن نية كتاب مسلمون، ليوهموا بقية القراء أن ميدان النشر خال من الأدب الإسلامي والفكر الإسلامي، فلا قصة إسلامية، ولا شعر إسلامي.. ولا من يحزنون!

أجل.. إن هذا هو واقع المسلمين.. وتلك هي الفجوات التي تعترض سبيل المصلحين.

فمن لنا بإزالة هذه العقبات؟

وما السبيل إلى تحقيق هذه المقترحات؟!.

*** في التربية والتعليم:**

والذي أعلمه من أفكار الشيخ، ومن خلال الأحاديث الخاصة التي يتيحها لنا لقاؤه في المناسبات الإسلامية، أن جوابه على تساؤلنا الآنف ينحصر في الناحية التربوية.. ذلك لأنه شديد التركيز على هذا الجانب في معظم أعماله الفكرية، فهو بنظره المعوّل الأهم في تكوين الجيل الصالح لإقامة المجتمع الصالح. ونظرة مستوعبة إلى أحاديثه الكثيرة في هذا الموضوع كافية لاستبانة هذا الواقع، ولإمداد الباحث بما يكاد يؤلف منهجًا متكاملاً للتربية والتعليم كما يريده أبو الحسن، بل كما يتراءى له في ضوء الإسلام، ومن خلال تجاربه العميقة في هذا الميدان.

وبين يدي الآن صورة المحاضرة التي ألقاها في مهرجان الندوة ـ

٢٦/ ١٠/ ٩٥هـ بعنوان: «أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية..» ومنها أنقل للقارئ الفقرات التالية:

* **منابع السموم:**

يتحدث الشيخ عن عمل المستشارين الأجانب في نظم التعليم المفروضة على العالم الإسلامي، فيقول عن أصحاب السلطان: أنهم «حكَّموا في تخطيط برامجهم التعليمية ومؤسساتهم العلمية الإخصائيين أو المستشارين من البلاد الأجنبية، ولم يستوردوا منها المقررات الدراسية فحسب، بل النظرات التعليمية والتصورات التربوية، وأرسلوا البعثات إلى الخارج لتنشأ في أحضان المربين الغربيين والأساتذة الأجانب، ثم أطلقوا أيديهم ومنحوهم كل حرية في تخطيط البرامج وسياسة التعليم.. فكانت النتيجة وجود طبقة مضطربة العقائد والأفكار والسيرة والأخلاق، أحسن أحوالها أن تكون مذبذبة بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية، وإلا فهي في أكثر الأحيان تنسلخ من كل ما يدين به مجتمعها وأمتها».

* **التربية لدعم العقيدة:**

وينقل هنا عن (دون آدامس) في أمر هؤلاء الموجهين طرفته التالية: «زعموا أن فيضانًا قد اجتاح بعض الأماكن، وكان هناك قرد وسمكة، فأما القرد فقد استفاد من سوابق تجاربه فتسلق شجرة ونجا، ثم وقع بصره على السمكة تكافح التيار فأشفق عليها، وحملها إلى الشاطئ وهو يظن أنه ينقذها، فكان في ذلك القضاء عليها».

ويعقب على ذلك بقوله: «إن عملية التربية في أمة أو بلاد ليست بضاعة تصدر إلى الخارج، أو تستورد إلى الداخل، كالمصنوعات أو المواد الخام، أو الحاجيات أو المخترعات التي لا تختص ببلد دون بلد، وإنما هي

لباس يفصل على قامة هذه الشعوب، وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة، وآدابها المفضلة وأهدافها التي تعيش لها وتموت في سبيلها، وأن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد، وتغذيتها بالاقتناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز..»[1].

وعلى الرغم من ثقته التامة بصحة هذه الأفكار لم يرض إلا أن يؤيدها بموافقات أساطين الخبراء في هذا الشأن، من أمريكيين وبريطانيين وحتى الشيوعيين، مما يؤكد أن ارتباط التربية والتعليم بمقومات الأمم قضية لا خلاف عليها، بل هي القاعدة الأساسية في بنائهما عند كل أمة تريد لنفسها البقاء في معركة الحياة.. وما دام الأمر كذلك فأحق الأمم بالاستقلال في هذا الميدان هي الأمة التي حملت أمانة اللّه إلى البشرية، وبدينها الخالد الكامل خُتمت رسالات السماء إلى الأرض، فلا سبيل لها إلى أداء هذه المهمة إلا عن طريق استمساكها بالتميز، الذي يحفظ لها أصالتها سليمة من كل تميع أو تبعية أو تقليد. ذلك هو المنطلق الرئيسي الذي عنه يصدر الشيخ في كل ما يتناوله من شئون التعليم منهجًا وأسلوبًا وغاية، ولا جرم أن لوسطه الندوي إيحاءه الفعال في هذا الاتجاه، بما كان لندوة العلماء من أثر ضخم في إحياء هذه المثل وإخراجها من حيز النظر إلى مجال التطبيق.

*** تجربة رائدة:**

ويصف أبو الحسن هذه المؤسسة فيقول: «إنها تمثل فصلاً من أروع الفصول في تاريخ الوعي الإسلامي». إذ كان قيامها ـ ١٣١١هـ ـ لغرض واحد هو إنقاذ الكيان الإسلامي من عملية التدمير التي شنها (دعاة التغريب والردة الفكرية والحضارية من المسلمين والقوميين وغيرهم»[1].

والمتتبعون لأعمال هذه المؤسسة، والمطلعون على نشاطها الواسع في

(١) صفحة ١٠، ١٢ من المحاضرة.

خدمة الفكر والخلق والعربية، يؤيدون أبا الحسن فيما ذهب إليه من تقديرها. ولا أذيع سرًا إذا قلت: إنني أحدهم، فعن طريق معرفتي بمناهجها، وصلتي بخريجيها الملتحقين بالجامعة الإسلامية، أدركت عظم المهمة التي تنهض بها في خدمة الإسلام. (إن هؤلاء الفتية في مقدمة طلاب العالم الإسلامي التزامًا لأدب الإسلام، ورغبة في العلم، وتقديرًا لمدرسيهم، وتقديسًا للغة القرآن، التي لا يكاد يضاهيهم في سلامة النطق بها عربي من نوابغ الطلاب.

إنها لتجربة رائدة نهضت بها تلك المؤسسة، فقدمت للعالم الإسلامي أنموذجًا للتربية والتعليم يستحق الدراسة، ويمكنه أن يقيم لدعاة الإصلاح معالم على الطريق ذات دلالات لا تنكر.

ولقد حفلت مناهج الندوة بكل جديد مفيد من المواد العصرية، إلى جانب المقررات الإسلامية الضابطة، مع مراعاة الاحتمالات النفسية لطالب العلم. إلا أن عامل التفوق في عملها هو دستورها التربوي، الذي جمع بين التعليم والتطبيق على أفضل الوجوه. وأن في خريجيها، الذين تسنموا أرفع المنازل بين أساطين العلم في العالم الإسلامي كله، لأبرز الأدلة على أننا منها تلقاء واحد من أنجح المشروعات التعليمية في هذا العصر[1]. انتهى كلام الشيخ محمد المجذوب[2].

□ يقول الشيخ محمد المجذوب:

«ولا حاجة إلى التذكير بأن فضيلة الشيخ أحد ثمرات هذه المؤسسة المباركة، وقد شاء اللّه أن ينتهي إليه لواؤها، فيتابع طريق أسلافه في دفعها

(١) من بحث قدمناه إلى المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة ربيع الآخر ١٣٩٧هـ.

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٤٧ ـ ١٥٣).

إلى الأعلى يومًا بعد يوم. وحسبه من ذلك وهذا ثروة لا تقوم من الخبرات الحية، التي تمده بكل سديد من الرأي في مجال التعليم الإسلامي. ولا عجب بعد ذلك أن يحظى هذا المفكر العملاق بكل التقدير الذي تحفه به أوساط العلية من مثقفي العالم الإسلامي، حتى ليجمعون على تقديمه للكلام باسمهم في أكبر المؤتمرات.

ثم لا غرو أن ينال هذا (المعلم) الممتاز مثل الحب الذي لمسته من طلابه نحوه، حتى ليتسابقون إلى خدمته في سعادة لا توصف، وحتى ليكون وقع الألم في أعينهم أخف عليهم من أن يلم به أي أذى مهما يكن قليلاً.

وذلك بعض فضل اللَّه عليه في الدنيا، وللآخرة أكبر درجات ـ إن شاء اللَّه ـ وأعظم تفضيلاً»[1].

*** أبو الحسن الندوي المربي الفاضل:**

لقد شغل أمر التعليم والتربية بال الدعاة والعلماء، وكان سماحة الشيخ الندوي قد أولى عنايته البالغة بالتربية، وتعرّض لها في معظم مؤلفاته، وبدأ يكتب مقالات ويُلقي محاضرات منذ الخمسينات، وجُمعت هذه المقالات والمحاضرات في كتاب بعنوان «نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية» وقد أفاض ـ رحمه اللَّه ـ في بيان أهمية التعليم الإسلامي وقيمة التربية معه فقال:

«إن التربية لا تقل أهمية عن التعليم، وإذا خلا التعليم عن التربية أصبح بلا نتيجة في أكثر الأحيان، ونقصًا في ناحية التربية ليس بأقل من نقصنا وفقرنا في ناحية التعليم ومنهاج دراسته وموضوع التربية موضوع

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٥٤).

واسع، طويل الذيل، وكثير الشعب والنواحي»[١] .

وقد قدّم سعادة الأخ الفاضل والعالم المربّي الدكتور محب الدين أحمد أبو صالح حفظه اللّه بحثًا قيمًا عن «التربية الإسلامية عند سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي» إلى الندوة العالمية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في استنبول «تركية» وأشار فيه إلى «أهمية التعرف على الفكر التربوي الإسلامي ـ أو التربية الإسلامية ـ عند سماحة الشيخ الداعية المربي أبي الحسن علي الحسني الندوي، باعتباره من كبار علماء العالم الإسلامي، وقادته الفكريين والأدباء، والدعاة والمربين «وذكر الباحث أن من مزايا الشيخ أنه شخصية مربّية بذاتها، ومربية بكتبها ومؤلفاتها، ومربية بمحاضراتها وخطبها، ومربية بدعوتها الحكام والمسئولين التربويين إلى وجوب الأخذ بالتربية الإسلامية والابتعاد عن النظم التربوية ـ المستعارة ـ الغربية والشرقية، وشخصية الشيخ مربية ـ أيضًا ـ بمشاركتها في التخطيط لبعض الجامعات والمؤسسات العلمية الجديدة، وفي تطور القديم منها»[٢] .

* الشيخ الندوي و«الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية»:

لما هاجمت البلاد الغربية الديار الإسلامية الهجوم العنيف الشرس في كل جانب من جوانب الحياة، لم يكن هذا التوجه لنقل الرقي الحضاري والصناعي إلى هذه البلاد، بل كان القصد منه السيطرة والهيمنة على جميع الموارد والمصادر والمناهل والملك، وكان استعمارًا تامًا لتلك البلاد، فتجمع الغرب كله، وبدأ يكيل التهم جزافًا، ويسفّه الأحلام والعلماء ويكذب المبادئ

(١) «نحو التربية الإسلامية الحرة» لأبي الحسن الندوي (ص١٧).

(٢) «مجلة البعث الإسلامي» ـ عدد ممتاز عن فقيد الأمة (ص٢٠٤ ـ ٢٠٥).

والحقائق، وكانت الافتراءات على الدين الإسلامي كثيرة إلى حد أنه وُضع في قفص الاتهام. وكان يواكب الجيش والعلم ووسائل الإعلام المبشرون المسيحيون المثقفون بثقافات الأديان والمذاهب وتاريخها ولغتها، فيلقون أسئلة لاذعة ويعرضون خلافات ونزاعات فكرية وفقهية وكلامية، ويبترون الحقائق بترًا، ويقتطعون العبارات والكلمات، ويوقعون عامة المسلمين الذين لا يعرفون من العقيدة والمبادئ الإسلامية إلا قليلاً، فصار الناس في بلاد الإسلام في (موقف الاعتذار) وكان للأمرين رجال وأناس، ولكن كلا الموقفين لم يثبتا ولم يجدا جذورًا قوية نامية فصار هباءً منثورًا، ومرّا مرورًا سريعًا، بَيْد أنه خلّف وراءه صراعًا فكريًّا شديدًا وعنيفًا في العالم كله. وهذا ما يتحدث عنه كتاب «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» لأبي الحسن الندوي. وهذا الكتاب كما يقول الندوي نفسه: «كتاب الساعة؛ لأنه يبحث عن قضية مصيرية للأقطار الإسلامية»، ويعين مكانتها في خارطة الإسلام المعنوية والمبدئية في جانب، وفي خارطة العالم الحضارية والاجتماعية في جانب آخر، ويحدد قيمتها الحقيقية من وجهة نظر الإسلام ورسالته وأهدافه. وهو من أهم كتب المؤلف وهو يُعدَّ الحلقة الثانية من كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»؟

استعرض ـ رحمه اللّه ـ الفكرة الغربية بتفاصيلها وأبعادها، ودرسها دراسة عميقة واعية، وأدرك أخطارها المحدقة بالإسلام والمسلمين في ديارهم كلها، لذلك خصّ كل بلد إسلامي بدراسة هذه الظاهرة فيه، وأفكارها، وحُماتها وكتاباتهم ونشاطاتهم، ثم لفت الأنظار إلى ما تخفي في جنباتها من التدمير والتخريب والأخطار التي تترصد العالم بسببها، ونبّه إلى الوسائل الوقائية والطرق السويّة السليمة لتجنب تلك الأخطار، وأشاد بما قام به المفكرون الإسلاميون العاملون بهذا الصدد، وكيف تصدوا لهذه الفكرة

الغربية، وتغيّر مفاهيمها الدينية وتقاليدها القومية وقوانينها الإسلامية بالأوضاع الغربية، وعلى حد قول الشيخ الندوي فإنها تريد أن تصهر هذه البلاد بتؤدة وأناة ولكن بوعي وإلحاح في بوتقة الحضارة الغربية».

❑ يقول القرضاوي عن الكتاب: «هو يبين كيف دخلت الفكرة الغربية ديار المسلمين، وصارعت الفكرة الإسلامية، التي هي الأصل وصاحبة الدار، وكيف كادت تنفرد بالتأثير والتوجيه فترة من الزمن، ثم قيّض اللَّه للفكرة الإسلامية من يجددها ويدعو إليها ويذود عنها لتتبوأ مكانتها».

❑ لقد كشف الندوي ـ رحمه اللَّه ـ القناع عن حركة التغريب «التقدمية!!» في العالم الإسلامي وسيلها العارم الجارف بنظرة فاحصة شاملة من علمه الجم.

وبيّن ـ رحمه اللَّه ـ مركز الأمة الإسلامية ورسالتها بكل قوة ووضوح، وألهب وأثار الغيرة الدينية والحماسة والروح البطولية، ليُحيي فيه المؤمن القوي العليم الصالح المصلح، ويشير إلى أنه في مثل هذا الموقف الشائك الحرج المتأزم تمسّ الحاجة إلى ذلك العبقري العصامي الذي يواجه الحضارة الغربية بشجاعة وإيمان وذكاء، ويشق له طريقًا بين مناهجها ومذاهبها، ويبين فضائلها ورذائلها، طريقًا يترفع عن التقليد والمحاكاة وعن التطرف والمغالاة، غير خاضع فيها للأشكال والمظاهر، والمفاهيم السطحية، ويتمسك بالحقائق وأسباب القوة، وباللباب دون القشور»[1].

ويرسلها الندوي دعوة مجلجلة لاختيار الطريق السوي في ضوء من الآية الكريمة ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ**

(١) «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» للندوي (ص٢١٦).

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وهذا الكتاب بلا ريب كتاب الساعة، وحاجة العصر، ومطلوب الأمة.

* ردة ولا أبا بكر لها:

أمام غارة الغرب على دين الأمة، وشعائرها، وقيمها، ومبادئها، وأخلاقها، وتقاليدها، ولغتها، وثقافتها وحضارتها ورسالتها بحصاره وقيوده وأغلاله، واندهش الناس واحتاروا، ووجهت إلى المسلمين التهم والافتراءات والأكاذيب والأباطيل، وتصدى أبو الحسن الندوي بغيرته على الإسلام وكيانه لهذا التيار المنحرف الجارف وواجهه بكتابات فكرية علمية موضوعية، وبنداءات مجلجلة قوية واضحة صريحة، وصدرت له مقالات متتابعة متواصلة منها: إلى ممثلي البلاد الإسلامية، معقل الإنسانية، المد والجزر في تاريخ الإسلام، بين الصورة والحقيقة، ثورة في التفكير، بين الجباية والهداية، دعوتان متنافستان، مصرع الجاهلية، أزمة إيمان وأخلاق، العوامل الأساسية لكارثة فلسطين، ارتباط قضية فلسطين بالوعي الإسلامي.. ردة ولا أبا بكر لها.

وهزّ مقاله الثائر الرائع المؤثر القلوب ولفت الأنظار، وأثار الشعور، وأقبل القرّاء المسلمون عليه اقبالاً منقطع النظير.

❑ قال الندوي عن هذه الردة: «لكن حرب العالم الإسلامي في العهد الأخير ردّة اكتسحت عالم الإسلام من أقصاه إلى أقصاه، وبزّت جميع حركات الردة التي سبقتها في العنف وفي العموم، وفي العمق والقوة، ولم يخل منها قطر، وقلما خلت منها أسرة من أسر المسلمين، وهي ردة تلت غزو أوروبة للشرق الإسلامي، الغزو السياسي والثقافي، وهي أعظم ردة

ظهرت في عالم الإسلام وفي تاريخ الإسلام، منذ عهد الرسول ﷺ إلى يوم الناس هذا»[1].

*** إلى الإسلام من جديد:**

طالب الندوي العالم الإسلامي بالقضاء على هذه الردة بدعوة إسلامية جديدة فيقول: «إن العالم الإسلامي في حاجة شديدة إلى دعوة إسلامية جديدة، وإن هتاف الدعاة والعاملين فيه وهدفهم اليوم (إلى الإسلام من جديد)، ولا يكفي الهتاف، إنه لا بد من تصميم حكيم قبل العمل، لا بد من تفكير هادئ عميق، كيف نرد الطبقة المثقفة التي تحتكر الحياة وتملك الزمام إلى الإسلام من جديد، وكيف نبعث فيهم الإيمان والثقة بالإسلام، وكيف نحررها من رقّ الفلسفات الغربية والحضارة العصرية ونظرياتها اللادينية؟ إنه في حاجة إلى رجال ينقطعون إلى هذه الدعوة، ويكرّسون لها علمهم ومواهبهم وكفايتهم، ولا يطمعون بمنصب أو جاه أو وظيفة أو حكومة، ولا يحملون لأحد حقدًا، ينفعون ولا ينتفعون، ويعطون ولا يأخذون، ولا يزاحمون طبقة في شيء تحرص عليه وتتهالك، حتى لا تكون لها حجة عليهم، ولا للشيطان سبيل عليهم، شعارهم الإخلاص والتجرد عن الشهوات والأنانيات والعصبيات، إن العالم الإسلامي في حاجة إلى منظمات علمية تهدف إلى إنتاج الأدب الإسلامي القوي الجديد الذي يعيد الشباب المثقف إلى الإسلام بمعناه الواسع من جديد، ويحررهم من رقّ الفلسفات الغربية التي آمن بها كثير منهم بوعي ودراسة وأكثرهم بتقليد وتسليم، ويقيم في عقولهم أسس الإسلام من جديد، ويغذي عقولهم وقلوبهم، إنه في حاجة إلى رجال في كل ناحية من نواحي عالم الإسلام

(١) «إلى الإسلام من جديد» للندوي (ص١٧٢ ـ ١٧٣) ـ دار القلم بدمشق.

عاكفين على الجهاد»[١] .

إن الكتاب دعوة مخلصة جامعة شاملة، ونداء قوي مجلجل، وهتاف عال رفيع لايقاظ الضمائر وإحياء القلوب، وإيقاد جمرات الأفئدة لتشتعل ثورة في المجتمع وتعود به إلى إيمان جديد غض طري، وتدوي صرخة في آذان جمهور المسلمين إلى الإسلام من جديد.

وقد حدث أن الشيخ الندوي ـ رحمه اللَّه ـ سافر إلى سريلانكا بدعوة من جامعتها الإسلامية عام ١٩٨٢م، فرحّب به نائب رئيس الجامعة محمد شكري، وقال: إن فكرة إقامة هذه الجامعة إنما بتلورت وقويت بل ظهرت بعد مقالكم (ردة ولا أبا بكر لها)، وقد أعجب الحاج المؤسس بهذا الموضوع، وملك عليه تفكيره وقلبه[٢] .

*** الدين النصيحة:**

فـ «سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي يُعدّ في طليعة أولئك العلماء والمفكّرين القلائل الذين أسهموا بكتاباتهم العلمية المبدعة، وجهودهم الدعوية القوية، في النهضة الإسلامية الواعية منذ نصف قرن، وسدّوا الثغرات العلمية والأدبية الهامّة، وملأوا الفراغ الفكري، في تفهّم أسرار الشريعة، وفي تحليل الوقائع والأحداث، بالدقة العلمية والغوص العميق، وتشخيص الأمراض واتخاذ الوسائل والأساليب لمعالجتها، مع المميّزات الروحية المشرقة، وأخلاق علماء السلف الكريمة»[٣] .

---

(١) إلى الإسلام من جديد» (١٨٦ ـ ١٨٧).

(٢) «في مسيرة الحياة» للندوي (١/ ٤١٨).

(٣) «الأستاذ أبو الحسن الندوي الوجه الآخر» من كتاباته للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد (ص٥) نقلاً عن «أبو الحسن الندوي كاتبًا ومفكرًا» لنذر الحفيظ الندوي الأزهري (ص٣) دار القلم ـ الكويت.

ولقد جمع أخونا في اللَّه الشيخ الفاضل صلاح الدين مقبول في كتابه القيم «الأستاذ أبو الحسن الندوي» ما كتبه الندوي باللغة الأردية وظهر فيها بشكل واضح صوفياته نقده فيها جمع من أهل العلم منهم شيخه الشيخ خليل بن محمد اليماني وشيخه العلامة تقي الدين الهلالي، والدكتور شمس الدين الأفغاني، والشيخ عبدالحميد الرحماني، والشيخ زين العابدين الأعظمي، والأستاذ عادل التل، والأستاذ محمود عبدالرءوف القاسم، والشيخ رفيع أحمد، والشيخ رضا علي بن عبداللَّه[1] .

يوجد في كتابات الأستاذ الندوي ـ على حيطة وحذر ـ كل ما يوجد عند غلاة المتصوفة من الصوفيات ففيها: التباكي على قتل الحلاّج، والدفاع عن ابن عربي، وتأويل أباطيله، وتقرير «وحدة الشهود» إزاء «وحدة الوجود» وتأثير الصوفية في الأكوان والأشخاص، ومكاشفتهم القلوب، وإشرافهم على الخواطر، والمراقبة عند القبور، والقول بأن الأقطاب وغيرهم يسمعون»، وكلامه عن أن أول خلق اللَّه المحبة، والسماع الصوفي، والشطحات والدعاوي، والظاهر والباطن، والغيب، والفناء، والمحوية والاستغراق، وثناؤه على جلال الدين الرومي ومثنويه ودعوته إلى وحدة الوجود».

* العالم الرباني حمود بن عبداللَّه التويجري (١٣٣٤هـ ـ ١٤١٣هـ) ودفاعه عن عقيدة السلف:

كان ـ رحمه اللَّه ـ شديد الغضب للَّه، يتبيّن ذلك حين يعلم أن أحداً يُجاهر بمعصية أو يعارض سنّة أو ينشر بدعة.

كان قويًّا في الحق لا تأخذه في اللَّه لومة لائم، مجانبًا لأهل البدع

(١) «الأستاذ أبو الحسن الندوي» ـ الوجه الآخر من كتاباته» (٣/ ٦٤٣).
(٢) المصدر السابق (١/ ٩ ـ ١٠).

والأهواء، محاربًا لهم بلسانه وقلمه»[1].

❑ ومؤلفات الشيخ التويجري تذب عن عقيدة السلف ومنها:

ـ «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر».

ـ و«الرد القويم على المجرم الأثيم» وهو ردّ على من تعرّض لصحيح البخاري.

ـ و«إثبات علو اللَّه على خلقه».

ـ و«تحفة الإخوان بما جاء من الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران».

ـ و«الصارم البتار للإجهاز على من خالف الكتاب والسنة والإجماع والآثار» (وهو رد على من أباح الربا في البنوك).

و«القول المحرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

ـ و«عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن».

ـ و«الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين».

ـ و«إيضاح المحجة في الردّ على صاحب طنجه». وهو رد على أحمد الغماري.

ـ وكتابه «إنكار التكبير الجماعي» فرحمه اللَّه وأجزل له المثوبة والثواب بذبه عن عقيدة السلف الأكرمين.

*** الشيخ صلاح أبو إسماعيل يصدع بالحق:**

جذب الأنظار والأفكار في مختلف أرجاء العالم الإسلامي في وقته لأنه ذكّر المسلمين بالتحفة النادرة التي قلّما يقعون عليها في واقعهم، مع أنها

(١) «إتحاف النبلاء بسير العلماء» (ص١٩٥).

من الخصائص الأولى لهذه الأمة التي ميّزها اللّه بالخيرية، المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

دوّى اسمه في الصحف والإذاعات العالمية وهو يدافع عن قضايا الإسلام؛ «لأنه كان نذيرًا بأنه لا يزال بين علماء الإسلام من يؤثر مرضاة اللّه على النفس والحياة والمنصب، فيعلن شهادة الحق في أحرج المواقف، يرسلها مجلجلة ناصعة لا تخاف في اللّه لومة لائم، حفاظًا على قلبه من أن يخالطه الإثم الذي أوعد اللّه به كاتمي الشهادة.

وإنها لعمر الحق لبطولة تفوق سائر البطولات التي ألف الناس أن يمجدوها ويقيموا لها الأنصاب والمعالم، وبخاصة بعد أن خرست أصوات الصادقين وطغت ضوضاء المنافقين، وأصبحت فنون البلاء موكلة بالألسن، فهي تتهيّب أن تهمس بكلمة الحق خشية أن تقطع أو تنزع..

وكان للرجل موقف ويوم تاريخي لا يُنسى له.

كان ـ رحمه اللّه ـ من أشد المنافحين عن شريعة اللّه والصادعين بالكلمة التي تُرضي اللّه وتُسخط كل عدو له.

رتب الشجاعة في الرجال قليلة وأجلهن شجاعة الآراء

قدّم استجوابًا لرئيس الوزراء عن تصريح السادات بألاّ سياسة في الدين ولا دين في السياسة وقد حشد في هذا الاستجواب البيّنات القاطعة على كمال السياسة الإسلامية وتفوقها على كل نظام في تأمين العدالة والأمن لأصناف البشر على اختلاف معتقداتهم، وبلغت صفحاته العشرين.

❑ يقول الشيخ صلاح أبو إسماعيل: «قدّمته إلى رئيس مجلس الشعب ليدرجه في أعمال أقرب جلسة، غير أنه جبن عن مجرد تقديمه، فذهبت به إلى القصر الجمهوري حيث قدّمته بنفسي إلى الدكتور زكريا البري.. وزير الأوقاف آنذاك ـ ليبلغه إلى رئيس الجمهورية، وضمنته كذلك التنديد بقول

السادات: إن قدوته مصطفى كمال أتاتورك.. ثم كان ما كان من تصادم مع الحزب الوطني والغالبية المؤيدة للحكومة بالحق والباطل. وهناك استجواب آخر وجهته إلى جمال الناظر وزير السياحة والطيران المدني عن تقريره الخمر في المدرسة الفندقية التابعة لوزارته في بلد دينه الرسمي الإسلام، والشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع[١].

وكان لي استجواب كذلك ضد عربدة الإعلام، ومن قبل كان لي استجواب ضد الأستاذ عبدالمنعم الصاوي وزير الإعلام عن تصريحه في أمريكا بأن الشريعة الإسلامية لن تطبق في مصر. وكان لي استجواب موجه إلى الدكتور عبدالمنعم النمر عن تفريطه كوزير للأوقاف في استرداد نحو ثلاثة وسبعين ألف فدان، كانت البقية الباقية من أراضي الأوقاف المغتصبة من الأزهر والمساجد عام ١٩٦١ إبان التحول الاشتراكي، وقد قضى فيها القضاء بحكم نهائي وباتٍّ بردها لوزارة الأوقاف سنة ١٩٧٣، وفرّط وزراء الأوقاف المتعاقبون في المطالبة بتنفيذ هذا الحكم»[٢].

❑ كذلك شهد مجلس الشعب مواقفه الرائعة ضد قانون السادات للأحوال الشخصية.. يقول عنها الشيخ صلاح أبو إسماعيل: «وهي معارك خضتها ضد الثلاثة الكبار محمد عبدالرحمن بيصار شيخ الأزهر السابق، وجاد الحق علي جاد الحق مفتي مصر السابق، وعبدالمنعم النمر وزير الأوقاف سنة ١٩٧٩مم وهذه الاستجوابات وغيرها من المواقف البرلمانية، كانت تحتاج إلى مستمعين يقدسون الإسلام، وإلى أعضاء يعرفون للقرآن حرمته وللسنة حجتها»[٣].

---

(١) بل الحق أن يقال إن الشريعة هي المصدر الوحيد للتشريع.. والتشريع حق مطلق للّه عز وجل.

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٥٥).

❑ ويذكر التاريخ بالخير للشيخ صلاح أنه في يناير ١٩٧٩ انتهز فرصة العمرة لما يقرب من ثلاثمائة عضو من أعضاء مجلس الشعب وبايعهم وبايعوه في الحرمين الشريفين على أن تكون أصواتهم لشرع اللَّه، لا يغلبهم على ذلك انتماء حزبي.. يقول الشيخ صلاح: «فما كان من الرئيس أنور السادات، إلا أن أصدر قراراً بحل مجلس الشعب بعد استفتاء ملفق، وأسقط معظم هؤلاء الذين تعاهدنا معهم في الحرمين الشريفين»[1].

❑ وكان لصوته ـ رحمه اللَّه ـ أثر في تعديل المادة الثانية من الدستور فأصبحت تنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع ولم تكن موجودة من قبل.

ولم تكن لجان تقنين الشريعة موجودة فُوجدت، وأنجزت عملها تمامًا، بل وأثمت طباعته في التشريعات الاقتصادية والاجتماعية والمدنية والجنائية، وفي التقاضي ولم يبق سوى التطبيق.

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «الظلام الكثيف يبدده النور الخفيف.. فكيف بالنور الوهاج، واللَّه متم نوره ولو كره الكافرون».

❑ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ: «لا شك أن عالمنا العربي والإسلامي، وقد مُني بالاستعمار الزاحف عليه من الخارج بعد أن أصيب بالتمزق الذي بعثر صفوفه، وفرّق كلمته داخل الدوائر العربية والإسلامية، قد أصبح في وضع دولي تبخرت معه العزة الإسلامية؛ لأن الذين ينسون اللَّه ينسيهم اللَّه أنفسهم، فالذين يدورون في فلك الغرب، والذين يدورون في فلك الشرق، إنما يدورون جميعًا في أفلاك قوى عالمية لا تتفق إلا على محاربة الإسلام، وهذا هو السر في تأخر الاستجابة حتى اليوم للمطلب الشعبي على مستوى

(١) المصدر السابق (١/ ١٥٤).

العالم الإسلامي المتمثل في تطبيق الشريعة الإسلامية.. ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ الآية[1] . فجزى اللَّه الشيخ صلاح خير الجزاء.

*** الشيخ حافظ سلامة بطل السويس الذي صدّ برجاله اليهود عن الاستيلاء على السويس:**

❑ للَّه در الشيخ حافظ على أحمد سلامة صاحب المواقف العجيبة في مدينة السويس أثناء اقتحام شارون اليهودي لثغرة الدفرسوار في معارك رمضان.

❑ وجزاه اللَّه خيراً عن بنائه لبيوت اللَّه.. والقاصي والداني يعلم أن مسجد النور بالقاهرة أثر من آثاره ولكن «سمعة الشيخ حافظ سلامه خارج مصر إنما قامت بالدرجة الأولى على جهاده وإخوانه في حرب ١٩٧٣م وعن مواقفهم أيامئذ يقول:

لقد خدعنا أول الأمر بالبيانات المضللة التي كانت تذاع عن قوات العدو الإسرائيلي وتحركاته، حتى فوجئنا بوصول العدو إلى مشارف مدينة السويس، فكان علينا أن نتخذ الموقف الواجب بإزاء ذلك الخطر الداهم، وهكذا دعوت إخواني الذين تربوا في جمعية الهداية الإسلامية ومسجد الشهداء مدنيين وعسكريين، ونظمت صفوفهم خلال لحظات، وزودناهم بالأسلحة والذخائر التي انهمرت علينا دون أن نعلم كيف ساقها اللَّه إلى مسجد الشهداء من حيث لا ننتظر في تلك الساعة العصيبة.. حتى إذا صار العدو إلى أطراف البلد ووجه بسيل من النيران لم يتوقعه، وبمقاومة تعترض قواته لأول مرة بشراسة نادرة، من رجال باعوا أرواحهم للَّه، حتى فقد جنود

(١) المصدر السابق (١/ ١٥٨).

العدو أعصابهم، وتركوا معداتهم الثقيلة، أمام هؤلاء الأبطال الذين ثبتهم اللَّه، وقذف الرعب في قلوب أعدائهم فانطلقوا منهزمين، تاركين قتلاهم في شوارع السويس وأزقتها تنهشهم الكلاب الضالة التي حرمت الغذاء طويلاً.

وهنا بدا للعدو أن يقوم بمحاولة من نوع آخر لاحتلال المدينة، فوجهوا إنذارًا نهائيًا إلى محافظ البلد والمسئولين معه، من مدير الأمن والقائد العسكري، بوجوب تسليم المدينة وإلا عمدوا إلى تدميرها.

ولم يجد هؤلاء المسئولون أمامهم من سبيل سوى الإذعان لمطالب الأعداء «حماية للمدينة من الدمار، وحفاظًا على أرواح سكانها العزل»، وقد أعدوا الراية البيضاء لإعلام العدو بخضوعهم.

وجاء القائد العسكري ليخبرني بما تم عليه الاتفاق، وراح يدافع عنه بمختلف الحجج لإقناعي به. ولكن عناية اللَّه كانت فوق محاولته، فقد رفضت الاتفاق في تصميم قاطع، وقلت للقائد: أنت والمحافظ ومدير الأمن كل منكم مسئول عن نفسه فقط، أما موضوع المدينة فقد أصبح من مسئوليتنا، وعلينا وحدنا يقع واجب الدفاع عنها.

وكان العدو قد بدأ يذيع على السكان أن المسئولين عن البلد قد وافقوا على التسليم، فعلى الأهلين أن يتجهوا إلى المركز الرياضي لتقوم القوات الإسرائيلية بترحيلهم إلى القاهرة.

وإنما يريد العدو بذلك تدمير الأعصاب ونشر الرعب واليأس، فلم ألبث إلا ريثما أخذت مكبر الصوت الخاص بمسجد الشهداء، وانطلقت أعلن للناس بأننا رفضنا الإنذار الإسرائيلي، وأننا مصممون على استمرار الجهاد إلى آخر قطرة من دمائنا.. وجعلت أهيب بشباب الإسلام أن يتقدموا على بركة اللَّه وملؤهم اليقين بأن اللَّه معهم ما داموا في طاعته ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾.

ومن ثم وجهت كلامي إلى العدو قائلاً: إن أرض السويس الطاهرة متلهفة إلى دمائكم القذرة، وإذا حاولتم دخولها مرة ثانية فمرحبًا بذلك اللقاء المنتظر، ونحن على أتم استعداد للقضاء عليكم بمشيئة اللَّه.

واستجاب اللَّه لضراعتنا، فآتانا من التوفيق ما لا يتصور بالنسبة إلى ضعف عتادنا بإزاء استعدادات العدو، وخلال ثمان وأربعين ساعة دمر اللَّه بأيدينا اثنتين وثلاثين دبابة ومصفحة، غير الآليات التي أصبناها بما دون التدمير، وقد تناثرت جثث قتلاهم حتى عجزوا عن إخلائها، وقذف اللَّه في قلوبهم الرعب، فلم تغن عنهم إمكاناتهم الكبيرة، من طائرات ودبابات وصواريخ وما إلى ذلك من أحدث الأجهزة التي توصل إليها العلم. وصدق اللَّه العظيم القائل في كتابه الحكيم: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**...﴾.

وقد سبق أن قرأت في «أخبار العالم الإسلامي» طائفة من أنباء الكرامات التي أمد اللَّه بها أولئك المجاهدين، فأردت أن أستوثق من أمرها فسألت الشيخ أن يطرفنا ببعض الحديث عنها تقديراً لنعمة اللَّه الذي وعد جنوده بالنصر، إذا ما قطعوا رجاءهم من خلقه، ولجئوا بضعفهم إلى قوته وحده.

❑ يقول فضيلته: حقًّا لقد واجهتنا هناك أحداث غريبة لا نجد لها تفسيراً إلا على ضوء الإيمان. ومن ذلك أن العدو عندما عجز عن اقتحام البلد عمد إلى تخريب المرافق الضرورية، فقطع المياه عن المدينة ليدفع أهلها إلى التسليم، وكان لذلك وقع رهيب إذ لم يكن ثمة مطمع بالحصول على أي ماء يصلح للشرب وكل ما حول المدينة من الماء فهو الملح ولا سبيل إلى الري إلا بمعجزة من وراء التدبير البشري. فأقبلنا على اللَّه ندعوه أن يدركنا برحمته، ثم عمدنا إلى اتخاذ الأسباب الشرعية، فأحدثنا حفرة بجوار مسجد

الشهداء، وإذا هي تتدفق بأعذب الماء، وقدمنا إلى بئر أخرى قد هجرها الناس لسواد مائها وملوحته، فقرأ بعضنا عليه فاتحة الكتاب، وألقينا فيها قليلاً من السكر، فإذا بمائها الكريه يستحيل عذبًا زلالاً بفضل اللَّه وبرحمته. وقد كفى اللَّه عباده المجاهدين حاجتهم من هذه المياه طوال مدة الحصار الذي استمر مائة يوم، فلما أن عادت مياه النيل إلى عطائها بعد انفضاض العدو رجعت مياه البئرين إلى أسوأ ما عرفه الناس من الملوحة والسواد!.

وإني لأتساءل اليوم كما يتساءل إخواني كلهم: لولا أن مَنَّ اللَّه علينا بهذه الرحمة الخارقة فأي مصير كان سيلاقيه المائة والخمسة عشر ألفًا من سكان هذه المدينة!! فالحمد للَّه ثم الحمد للَّه.

ويقف الشيخ حافظ عند هذا الموقف وحده من جملة الأحداث التي يتناقلها الناس عن أيام السويس وأراني هنا مدفوعًا إلى ذكر موقف آخر لا يقل عن ذلك من حيث الأهمية والدلالة، وقد سمعت قصته من الصديق الأزهري الثقة الشيخ محمود عبدالوهاب فايد ـ المحاضر بالجامعة الإسلامية.

كنا مجموعة من المشايخ في زيارة لمدينة السويس في أعقاب حرب رمضان ١٩٧٣م وهناك اجتمعنا ببعض المجاهدين، وطلبنا إليهم أن يقصوا علينا بعض أحداث الحصار العصيب، فأشاروا إلى فتى منهم قائلين: سلوا هذا الأخ عن قصته مع اليهود ففيها ما يسركم.

❑ وبكثير من التردد شرع الفتى يحدثنا بقصته:

«ذات ليلة حالكة السواد كنا زمرة من المجاهدين في أحد الكمائن نترقب تحركات العدو، وشعرت بالحاجة للخروج إلى الخلاء، فما إن انتهيت إلى المكان الذي أريد حتى أحسست جلبة قريبة، فتوقفت أصيخ بسمعي لأتبين المصدر أحيوان أم بشر.

وسرعان ما أتضح لي أن مجموعة من الرجال يتحركون في انتظام،

فأدركت أنها دورية يهودية، ولم يكن معي سلاح، فوجدت خير ما أصنعه هو أن أطلق صرخة الإنذار، فيسمعها إخواني فيأخذوا حذرهم، وصحت بقوة: كلمة السر.. ولم أكد أفرغ من ندائي حتى رأيت الأيدي تمتد إلى أعلى وقد ألقت بما معها من الأسلحة إلى الأرض.. ولم أتريث فأمرتهم بالسير أمامي فلم يتلكئوا، ومضيت وراءهم أوجههم حتى انتهيت بهم إلي موضع الرفاق، الذين كانوا قد اتخذوا وضع الاستعداد.. وهكذا وفقنا اللَّه لأسر عشرة أفراد من العدو دون أن نضطر إلى إطلاق رصاصة واحدة..»[1].

❑ انظر إلى الشيخ حافظ وهو يقول:

«قد بلغ من حقد السادات عليّ أن وصفني بالجنون؛ لأنني جنَّنته بنشاطي في مقاومة خططه الشيطانية على مستوى القطر، من أقصى أسوان إلى أقصى السويس»[2].

وفي اليوم الحق.. يوم القيامة، سيفصل الملك الحق.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٥].

*** الدكتور محمد عباس القلم الطاهر المدافع عن الإسلام.. الحيّ بين الموتى:**

لا فضّ فوك دكتور محمد عباس.. أنت أمة في هذا الزمان.. تذوب كمداً لحال أمتك تصدّيت وحدك لمن طعنوا في ثوابت ديننا.. وكانت لك المقالات الهادرة ضد رواية «وليمة أعشاب البحر».

صودر لهذا الضخم العظيم محمد عباس كتابه «بل هي حرب على

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/١١٨ ـ ١٢١).
(٢) المصدر السابق (١٢١).

الإسلام» وصرّح الرجل بما لم يصرّح به غيره.. وبدا الرجل عملاقًا وسط الأقزام..

واللّه إن دور الرجل في الكتاب عن مآسي المسلمين يفوق ملايين الخطب.. ولا تجد من يصرح بمثل قوله، عقمت الكثيرات أن يأتين بمثله فللّه درّ أم أوحدت به في زمن الخصيان، زمن تحيض فيه الرجال.

وغالب كتبه قذائف موجهة تعيد إلى المسلم رجولته وتبصّره دوره ومواقع خُطا قدميه وإليك واحدة من مقالاته:

*** شارون الأول.. شارون الخامس والخمسون:**

عجزت عن الكتابة..

عجزت.. عجزت.. عجزت..

فكرت في أن أعتذر إليكم يا قراء..

لكنني أرى أن الأمة كلها محتاجة إلى كل اعتذاراتها كي تقدمها إلى فلسطيني واحد..

ولو كنت مكانه لما قبلت الاعتذار..

راجعت مئات المقالات والأبحاث وكتبًا عديدة كي أكتب عن المؤامرة التاريخية ضد العالم الإسلامي.. ورغم أنني أكتب في هذا الموضوع منذ عشرين عامًا إلا أنه قد هالني ما قرأت..

هالني.. وأفزعني..

فظيع أن يروعك أمر مفاجئ..

لكن الأفظع والأمر.. أن يفاجئك أمر غير مفاجئ.. أمر يحاك منذ عشرات وربما مئات الأعوام..

وأخذت أعد عدتي لكتابة المقال.. لكن الأحداث المروعة في فلسطين كانت تحتل كل خلية في كياني..

ورغم أنني أبغض أن أتناول الأمر من منظور غير جهادي.. لكن كيف أقنع قلبي ألا ينشطر وهو يرى يد ذلك الطفل المدفونة تحت الركام.. لم أر إلا يده.. وكان الجسد كله مطموراً.

وكان المسيح الدجال في واشنطن رأس الشر وخليفة الشيطان بوش ـ يراه إرهابياً لا يجوز إنقاذه.

رأيت أيضًا تلك المرأة التي تحثو على رأسها التراب الذي وددت لو أحثوه في وجه الخونة من أمتنا!!.

رأيت الجثث والأشلاء صفوفًا خلف صفوف. خلف جثمان كل شهيد تحت الأنقاض في فلسطين رأيت وجهه..

لا..

ليس وجه الكلب المسعور شارون..

بل وجه الفاسق..

ووجه الضليل..

ووجه السكير..

استرجعت صوت الصديق الغاضب يصرخ:

ـ لم نمر بهذه المهانة منذ غزو بغداد.. منذ التتار.. هذه أخطر فترة تمر بها الأمة منذ ألف عام..

ثم واصلت استرجاع صوت الصديق:

ـ لماذا تجري البلاد العربية مناورات مع الجيش الأمريكي..

وهمست لنفسي:

هذه الأواكس التي تحلق في سماء العروبة ليل نهار لم ترصد أبدًا يد الطفل ذي الجثة المطمورة..

وهذه البلايين والبلايين والبلايين عجزت أن تقدم كسرة خبز لتلك

العجوز التي قالت: إن فاها لم يلك طعامًا منذ عشرة أيام..

خلف كل جثمان كل شهيد رأيت وجه الجميع الفاسق الضليل السكير اللص الغبي الخائن.

وخلف كل شلو من أشلاء أحبابنا رأيت وجه عميل.. لا.. ليس إسرائيليًّا.. بل.. عربيًّا..

ما فشل فيه جنود الأعداء من الصليبيين والتتار طيلة ألف عام نجحت فيه أيدي العملاء..

دمرت روح الأمة..

أيها المجرم السفاح قاتل رجل مسلم؛ لأنه يقول: ربي اللَّه، أيها العميل.. هل تظن أنك أقل سوءًا من أي ضابط إسرائيلي.. لا واللَّه.. بل هو أفضل منك.. لأنه يسعى ولو بالجريمة لنصر بلاده وهي منتصرة.. وأنت يا سفاح يا عبد الشيطان تسعى بالجريمة لهزيمة أمتك.. وهي مهزومة.. أما وليك وآمرك والمتستر عليك فليس سوى عبد للشيطان مثلك ولن يغني عنك من اللَّه شيئًا..

أنت العاجزة الفاشلة وليس نخبتنا الفاجرة ليسوا فاشلين ولا عجزة.. على العكس.. إنهم ناجحون تمامًا.. ولو لم ينجحوا ما استمروا قابضين على الفكر والإعلام.. إنهم يقومون بالعمل الذي جيء بهم من أجله: حماية إسرائيل.. ولقد نجحوا في قرن حيث فشل الغرب طيلة قرون: دمروا أمة لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه لتجد نفسها في هذا الخزي العاجز والعجز المهين..

ليس العجز في مواجهة العدو الخارجي.. فكيف تواجهه وقد تحالفت كل نخبنا معه علينا..

وإنما العجز في تغيير هذه الفئة والقضاء على حواشيهم..

قبل الوعد بسلخ فلسطين من الجسد الإسلامي كان التمهيد طويلاً طويلاً..

وقبل خيانة بعض الحكام كانت خيانة العلماء والمثقفين الذين ساعدوا الغرب علينا فروجوا لأفكار شاذة كان كل همها هدم الإسلام وتحقير المسلمين..

كان كل ذلك تمهيداً لما حدث بالفعل بعد ذلك من تشرذم العالم الإسلامي وضياع فلسطين..

كان هدم الخلافة الذي هللوا له كثيراً..

وكانت سايكس بيكو الأولى..

لكن تزييف الوعي استمر بعد ذلك ليمهد لسايكس بيكو الثانية التي بر عنها محمد حسنين هيكل في أحد كتبه وهو يتصور أن أحد السيناريوهات القادمة التي يخطط الغرب لها هو «التصور الصومالي» حيث تتحول كل الدول العربية كلها إلى نموذج الصومال.. دول تقسم.. وشعوب تشظى.. وحكومات لا تحكم إلا جزءاً من العاصمة.. وقبائل متناحرة.. وحضيض لا حضيض بعده..

لم يستطع الغرب أبداً أن يغزونا فكريًّا ولا أن يهزم أرواحنا حتى حين هزم جيوشنا..

لكن.. تكفل بالمهمة أبناء جلدتنا..

في القرن التاسع عشر كان عملاء الاستعمار يقومون بالمهمة لكن رائحة عفن الخيانة صرفت الناس عنهم فلم يتبعهم إلا قليل ولم ينجح منهم في إخفاء عمالته إلا قليل..

في القرن العشرين حمل الشيوعيون لواء تزييف وعي الأمة.. حملوه باقتدار لا يضاهيهم فيه إلا الشيطان..

كانوا هم الوجه الآخر لليهود.. وكانوا وما يزالون امتدادًا عضويًا لهم..

وتلقف القوميون الطعم منهم بغباء مطلق.. وما زالوا..

تكلفت سايكس بيكو الأولى بتمهيد التربة لزرع إسرائيل..

وكل خط وضع في الخرائط كان من أجلها.

وكل صاحب نفوذ جاء منذ ذلك الوقت لم يكن إلا خفيرًا لحراستها.. بإرادته واختياره في معظم الأحوال.. وعلى الرغم منه في أقلها..

تم تقسيم الدولة الإسلامية لتكون التربة المثالية لإسرائيل..

وطوال الوقت.. تم حصار الفئة الوحيدة التي كانت تستطيع المواجهة بل النصر: الإسلام والمسلمين.

فكيف نتصور أننا يمكن أن نواجه ونحن في هذا الحال؟!..

أما عن التساؤل عن حالنا لو استمر الأمر كذلك فليس سوى ذل الدنيا وخزي الآخرة.

سألت نفسي.. لو أن الجيش المصري في عام ٦٧ رغم الكارثة حارب كما حارب أهل جنين.. هل كان يمكن أن تكون إسرائيل الآن موجودة..؟

الحل واضح مهما كانت صعوبته..

على الأمة أن تنهض..

عليها أن تنكس عملاءها.. وأن تمحو الخرائط بين بلادها..

وأن تلفظ كل تلك الأفكار الشاذة النجسة التي دمرت الأمة من يسار وقومية وعلمانية و.. و.. و..»[1] اهـ.

---

(١) المختار الإسلامي ـ العدد ٢٣٨ ـ جمادى الآخرة ١٤٢١ ـ ١٠ أغسطس ٢٠٠٢م ص(٣٦ ـ ٤٠).

❑ جزاك اللَّه خيرًا عن أمتك فواللَّه إن مقالة واحدة من مقالاتك تكفي ليقظة أمة نامت كنوم أهل الكهف طويلاً . . لسان حاله يقول:

أنا لا أدعو
إلى غير الصراط المستقيم
أنا لا أهجو
سوى كل عُتُلٍّ وزنيم
وأنا أرفض أن
تصبح أرض اللَّه غابة
وأرى فيها العصابة
تتمطى وسط جنات النعيم
وضعاف الخلق في قعر الجحيم

* * *

obeikandl.com

*** الشيخ علي عبدالرحمن الحذيفي إمام وخطيب المسجد الحرام وخطبته عن الشيعة في ١٥ من ذي القعدة عام ١٤١٨هـ:**

✍ للَّه دره من خطيب نصح للَّه ورسوله.

ففي خطبته التي ألقاها في يوم الجمعة ١٥ من ذي القعدة عام ١٤١٨هـ وعنوانها «أخرجوا اليهود والنصارى والروافض من جزيرة الأرض» بوجود إمام الضلالة رفسنجاني قال الشيخ الحذيفي ما لم يقله أحد، ودافع عن عقيدة السلف، ودافع عن الصحابة ﷺ وها نحن ننقلها كاملة ونختم بها هذا الفصل من هذا الجزء.

الحمد للَّه رب العالمين أما بعد..

فاتقوا اللَّه أيها المسلمون اتقوا اللَّه حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى عباد اللَّه إن أعظم نعم اللَّه على الإنسان الدين الحق الذي يحيي اللَّه به من موت الكفر ويبصره اللَّه به من عمى الضلالة، قال تعالى: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا..**﴾ ودين اللَّه في السماء وفي الأرض ودين اللَّه للأولين والآخرين هو الإسلام، ولكن الشريعة تختلف لكل نبي فشرع اللَّه لكل نبي ما يصلح أمته وينسخ اللَّه ما يشاء ويثبت ما يشاء بحكمه وعلمه. وببعثة سيد البشر محمد ﷺ نسخ اللَّه كل شريعة وكلف اللَّه الإنس والجن باتباعه والإيمان به قال اللَّه تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾.

وفي الحديث: «**والذين نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**».

فمن لا يؤمن بالنبي محمد ﷺ فهو في النار ولا يقبل اللَّه منه دينًا غير الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقد بعث اللَّه نبيه محمدًا ﷺ بأفضل شريعة وأكمل دين جمع اللَّه فيه كل أصل بعث به الأنبياء قبله ﷺ ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾. احبار اليهود ورهبان النصارى يعلمون أن دين محمد ﷺ حق لكن يمنعهم من اتباعه الحسد والكبر وحب الدنيا والشهوات ولن يجدي ذلك عليهم شيء وقد حرف اليهود والنصارى قبل بعثة النبي ﷺ كتابهم وغيّروا.

❑ وبعد هذا العرض الموجز للحق والباطل يسوءنا نحن المسلمين الدعوة التي تنادي بالتقريب بين الأديان من جهة والتقريب بين أهل السنة والشيعة من جهة أخرى والذي ينادي به بعض المفكرين الذين تنقصهم أولويات وأساسيات في العقيدة ويزداد الأمر خطورة في هذا العصر الذي صارت فيه الصراعات دينية ومصالح ترتكز على الدين.

❑ إن الإسلام يدعو اليهود والنصارى إلى أن ينقذوا أنفسهم من النار ويدخلوا الجنة ويدخلوا في دين الإسلام الحق وينخلعوا من الباطل قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

❑ والإسلام يقر اليهود والنصارى على دينهم تحت حكمه إذا كانوا ملتزمين بأحكامه المالية والأمنية ولا يجبرهم على الإسلام لقول اللَّه تعالى:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. ويبين الإسلام أن دينهم باطل وهذا لسماحة الإسلام ونصحه للبشرية حتى يؤمن من يؤمن ويكفر من يكفر.

ولو دخل اليهود والنصارى والمشركون في الإسلام لوسعهم وكانوا إخوة للمسلمين في الدين؛ لأن الإسلام ليس فيه عنصرية ولا يتعصب للون ولا لعرق قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

❑ وتاريخ الإسلام شاهد بذلك وأما أن يقرب الإسلام من اليهودية أو النصرانية فذلك بعيد كل البعد وهيهات هيهات أن يكون هذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.

❑ وأما أن يقرب المسلم من اليهود والنصارى بمعنى أن يتنازل عن بعض أحكام دينه ويتساهل في تطويع دينه أو تطويع بعض أحكام دينه لأهوائهم أو يوادهم فذلك أيضًا لا يكون أبدًا من المسلم الحق ولكن المسلم مع هذا نهاه دينه أن يظلمهم بل يقسط إليهم وهو مأمور بالمدافعة عن الحق وينصره ويُعادي الباطل ويكسره.

❑ وأما الدعوة إلى التقريب بين الأديان فذلك يُنافي دين الإسلام ويوقع في فتنة وفساد كثير ويجر إلى خلط في عقيدة الإسلام وضعف في الإيمان وموالاة لأعداء اللَّه تعالى وقد أمر اللَّه المؤمنين أن يكون بعضهم أولياء بعض قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. وأخبرنا اللَّه تعالى أن الكفار.

بعضهم أولياء بعض مهما كانت مشاربهم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. كيف يكون هناك تقريب بين الإسلام واليهودية والإسلام في صفائه وضيائه ونوره وإشراقه وعدالته وسماحته وشموله وسمو أخلاقه وعمومه للإنس والجن واليهودية في عنصريتها وضيقها وحقدها على البشرية وانحطاط أخلاقها وظلماتها وطمعها كيف يقبل المسلم أن ترمى مريم الصديقة العابدة بالزنا الذي يرميها به اليهود وكيف يقبل المسلمون أن يرمي اليهود المسيح بن مريم بأنه ولد الزنا.

❑ كيف يكون تقريب بين القرآن وتلمود الشيطان؟ كيف يكون تقريب بين الإسلام والمسيحية؟. الإسلام دين التوحيد الصافي والتشريع الكامل والرحمة والعدالة والمسيحية التي تقول أن عيسى عليه السلام هو ابن اللَّه أو هو اللَّه أو هو ثالث ثلاثة الأب والابن وروح القدس فهل يقبل العقل أن الإله يشتمل عليه الرحم وهل يقبل العقل أن الإله يأكل ويشرب ويركب الحمار وينام ويبول ويغوط كيف يكون تقريب بين النصرانية الضالة التي هذه عقيدتها في عيسى وبين الإسلام الذي يعظم عيسى ويقول: هو عبد للَّه ورسول من أفضل الرسل عليه الصلاة والسلام.

❑ وكيف يكون هناك تقريب بين السنة والشيعة. أهل السنة الذين حملوا القرآن الكريم وسنة رسول اللَّه ﷺ وحفظ اللَّه بهم الدين وجاهدوا لإعلاء منارة الإسلام وصنعوا تاريخه المجيد، والرافضة الذين يلعنون الصحابة ويهدمون الإسلام، فإن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين نقلوا الدين لنا فإذا طعن أحد فيهم فقد هدم الدين.

❑ كيف يكون تقريب بين أهل السنة والرافضة وهم يسبون الخلفاء الثلاثة وسبهم لو كان لهم عقول يفضي إلى الطعن في الرسول ﷺ فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما صهران لرسول اللَّه ﷺ ووزيراه في حياته وضجيعاه بعد موته ومن ينال هذه المنزلة، وجاهدا مع رسول اللَّه ﷺ في جميع غزواته

ويكفي هذا الدليل لبطلان الرفض. وعثمان رضي الله عنه زوج ابنتين للرسول ﷺ واللَّه لا يختار لرسوله ﷺ إلا أفضل الأصحاب فكيف لم يبين النبي ﷺ عداوة الخلفاء الثلاثة للإسلام ويحذر منهم إن كانوا صادقين بزعمهم، بل سب هؤلاء الثلاثة طعن في علي رضي الله عنه فقد بايع أبا بكر في المسجد راضيًا وزوج عمر ابنته أم كلثوم وبايع عثمان مختارًا وكان وزيرًا لهم محبًا ناصحًا رضي الله عنهم. فهل يُصاهر علي رضي الله عنه كافرًا أو يبايع كافرًا؟ سبحانك هذا بُهتان عظيم.

❑ ولعنهم لمعاوية رضي الله عنه طعن في الحسن رضي الله عنه الذي تنازل عن الخلافة لمعاوية ابتغاء وجه اللَّه وقد وفق لذلك وحرضه ﷺ على ذلك فهل يتنازل سبط رسول اللَّه ﷺ لكافر يحكم المسلمين؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

❑ وكيف يلعنون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي نص اللَّه في كتابه على أنها أم المؤمنين في قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾.

❑ وكيف يكون تقريب أهل السنة والرافضة وقد جعلوا الخميني إمام الضلالة معصومًا حيث أقروه على أنه نائب مهديهم الخرافة الذي قالوا بأنه دخل سرداب سامرا والنائب له حكم المستنيب فإذا كان المهدي معصومًا فالخميني معصوم؛ لأنه نائب له فماذا هذا التناقض؟ إن الرافضة في قولهم في ولاية الفقيه قد نسفوا مذهبهم من أساسه والباطل يحطم بعضه بعضًا ويشتمل ويتضمن على الردود وتحطيم نفسه بنفسه وأهل البيت براء منهم ومن هذا القول والأدلة على بطلان مذهب الرافضة شرعًا وعقلاً لا تحصى إلا بالمشقة.. ألا فليدخلوا في الإسلام وأما نحن أهل السنة والجماعة فلن نقترب منهم شعرة واحدة أو أقل من ذلك فهم أضر على الإسلام من اليهود والنصارى ولا يوثق بهم أبدًا وعلى المسلمين أن يقفوا بالمرصاد قال تعالى:

﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾. إن نسب الرفض يعود إلى عبداللَّه بن سبأ اليهودي وإلى أبي لؤلؤة المجوسي.

❑ إذًا معشر المسلمين لا بد أن يتميز المسلم في عقيدته فيحب ما أحب اللَّه ويكره ما يكرهه اللَّه ويتناصر المسلمون ويكونوا يدًا واحدة فإن أعداء المسلمين جمعهم على عداوة المسلمين دينهم وعقائدهم الكافرة قديمًا وحديثًا.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وما غرسوا الدولة الصهيونية في فلسطين إلا لحرب الإسلام وزعزعة المنطقة وكان من آثار استعمارهم للعالم الإسلامي أمراض عقدية واجتماعية ما زال يعاني منها المسلمون ومن أعظم ذلك إلغاء المحاكم الشرعية في العالم الإسلامي وإحلال القوانين الوضعية والمحاكم القانونية بدلاً عنها لكن هذه المملكة!! وللَّه الحمد هي التي بقيت محافظة على المحاكم الشرعية التي تحكم بشريعة اللَّه تعالى وتحمل راية التوحيد بين الدول.

❑ وفي الآونة الأخيرة صار اليهود والنصارى يختلقون مشاكل للمنطقة ويتذرعون بها للتواجد العسكري ومن أسباب ذلك سلسلة من الانقلابات العسكرية التي بليت بها المنطقة باسم أحزاب ومذاهب كافرة كالبعث والقومية والاشتراكية التي لا تمت إلى الإسلام بخيط أو بشعرة من الصلة فأبرزت مثل صدام فهذه الأحزاب وهذه المذاهب مثل صدام حسين وحورب لذلك الدين والعلم والنبوغ، واستخدمت التصفيات الجسدية وأسكتت أصوات الحق وهاجرت الكفاءات إلى الغرب فضعفت تلك الدول التي أُصيبت بالانقلابات وكل ما جاءت أمة منهم لعنت ما قبلها والعياذ باللَّه. ولا تزال بعض البلاد العربية تعتبر صلاة الجماعة جريمة يُعاقب عليها فلا حول ولا قوة إلا باللَّه فأين النصر والعزيمة والكرامة.

❑ وبعد أن تمهدت الأسباب للدول الكبرى صاروا يفتعلون الأحداث الصورية للتدخل العسكري بعد أن تدخلوا اقتصاديًا وباتت نوايا الدول الكبرى ظاهرة ضد استقرار المنطقة وتقسيمها إلى دويلات صغيرة متحاربة وبدافع العداء الديني فإن عداء الدول الكبرى لدولة الحرمين الشريفين أعزها اللَّه أشد وأعظم؛ لأن هذه المملكة حصن للإسلام فأصبحت نوايا أمريكا وبريطانيا ومن دار في فلكهم ظاهرة السوء بغية إلحاق الضرر. بل عداء الدول الكبرى كلها وعداء الدول الكافرة كلها ضد الإسلام والمسلمين ولا يوثق بواحدة منها أبدًا فبغية إلحاق الضرر والعنت بهذه المملكة في التلويح بتهديدها في مرافقها الحيوية أو سلامة وحدة أراضيها. ألا فلتعلم أمريكا أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها متضامنون مع دولة الحرمين الشريفين أعزها اللَّه؛ لأن هذه المملكة المعقل الأخير للإسلام وكل هذه النوايا السيئة من الدول الكبرى كل ذلك لستة أمور:

الأول: ضمان استقرار دولة العدو الصهيوني.

الثاني: بناء هيكل سليمان.

الثالث: المحافظة على بقاء التفوق العسكري اليهودي على دول المنطقة.

الرابع: السيطرة على ثروات المنطقة حتى لا يكون لأهلها إلا فتات الموائد.

الخامس: القضاء على الدعوة للإسلام.

السادس: الدعوة إلى كل ما يُضاد الإسلام وهدم كل خلق كريم وبقاء دول المنطقة في صراعات دائمة.

❑ يا معشر المسلمين لكم عبرة في تركيا حكمت بالعلمانية منذ ظهر عليها اللعين كمال أتاتورك وطبق عليها الكفر قهرًا ونبذ حكامها الإسلام

وحاربوه على كل صغير ولا يزالون يُحاربونه وتحالفوا عسكريًّا مع اليهود ولم يرضوا لها إلا أن تكون خادمًا مُطيعًا فحسب بل لم يدخلوها معهم في أي حلف وذنبها لأنها كانت حامية للواء الإسلام في يوم مضى فأنتم مهما تنازلتم فلن يرضوا عنكم أبدًا بل دافعوا عن حقكم ودافعوا عن دينكم. العداء ديني يا معشر المسلمين، العراق لماذا يُحاصر شعبه ست سنين ما ذنب الضعفاء لأنهم مسلمون لا غير.

صدام لن يتضرر هو وحزبه ويزعمون أن العراق لم ينفذ قرار الأمم المتحدة وهو قرار واحد والعدو الصهيوني لم ينفذ ستين قراراً بل لم توقع دولته على حظر الأسلحة النووية في منطقة ملتهبة تغلي بالبراكين والفتن لا تصلح أسلحة الدمار الشامل لها فإن صدام وحزبه ينفذون ما يُريده أعداء الإسلام.

❑ نصيحتي لأمريكا أن لا تتدخل في شئون المنطقة فدول المنطقة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية هم المسئولون عن المنطقة!! ولا تغتر أمريكا بقوتها فقد جرت سنة اللّه أن قوة زائد ظلم يُساوي دمار الدولة والدمار من رب العالمين إذا غلب المستضعفون على تلك الدولة العاتية الكافرة فالتكنولوجيا ليست كل شيء إنما الأمر يعود إلى الإيمان.. أمن المنطقة لدول المنطقة هو من حقهم وما سبب المشاكل للمنطقة المزعزعة إلا الدول الكبرى التي تفتعل الأحداث وتتواجد كلما افتعلت حدثًا بذريعة أنها تقوم بذلك وأنها تصلح الوضع أو تدرأ الخطر وهي أكبر وكيف يكون الذئب راعيًا للغنم؟

❑ إن العداوة دينية يا عباد اللّه وأمريكا ليس لها من أمرها شيء وإنما يقودها اليهود صاغرة إلى حيث يريدون والمسلمون لا يقبلون تواجدها العسكري ولا تواجد غيرها من أي دولة كافرة بأي حال لقول النبي ﷺ: **«لا يبقى بجزيرة العرب دينان»**. وآخر وصيته ﷺ: **«أخرجوا اليهود**

والنصارى من جزيرة العرب». فيجب العمل بذلك.

❑ وأنتم معشر المسلمين تخيم عليكم سحب الإنذار فعليكم بالتوبة إلى اللَّه فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة.. يا من عصيت اللَّه بالخمر تب إلى اللَّه فإنك بهذا تساهم بالإصلاح لمجتمعك. يا من عصيت بالزنا.. ويا من عصيت اللَّه باللواط تب إلى اللَّه.. يا من عصيت اللَّه بالمخدرات تب إلى ربك فإنك عما قريب سترجع إليه.. يا من عصيت اللَّه بترك الصلاة تب إلى اللَّه عز وجل.. يا من عصيت بظلم مسلم في ماله وفي عرضه تب إلى ربك.. طهروا أموالكم من الربا فهو من أسباب الحروب والدمار وطهروها من المعاملات ما لا يتفق مع دين الإسلام ونصوص الشريعة حتى تكون جميع أنواع المعاملات في البنوك خاضعة لأحكام الإسلام موافقة لها.. ادعوا إلى اللَّه أيدوا الدعوة إلى اللَّه عز وجل وإلى الإسلام.

علموا المسلمين اعتنوا بالمناهج في مناخ دول العالم الإسلامي المناهج الإسلامية والدعوة إلى اللَّه تبارك واجب كلّ مسلم ويجب أن يُوجهها العلماء الموثوق بعقيدتهم والموثوق بعلمهم وباستقامتهم والذين ترجع إليهم الفتوى ويرجع إليهم المسلمون فيما عرض لهم من الأمور التي يحتاجونها الذي يتطابق مع كتاب اللَّه وسنة رسوله. واحذروا الحزبيات المفرقة. واحذروا الأهواء المشتتة. واحذروا من عقاب اللَّه وعذابه بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم وبهدي سيد المرسلين وبقوله القويم.. أقول قولي هذا وأستغفر اللَّه لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

obeikandl.com